بسم الله الرحمن الرحيم

كتـــاب

لمعـــة البيـــان

في احـداث آخـر الزمـان



وهو كتاب شامل لجميع شؤون آخر الزمان ومـــا جرى ومـــا سيجري فيه من أحداث .

استقصيت ما جاء فيه من كتاب الله وسنة رسولـــه صلى الله عليه وسلم مع بعض الشروح والتعاليق التـــي وفقني الله تعالى لبسطها بصورة مختصرة .

تأليف الراجي عفـو ربه

الشيـخ

علـي علـي محمـد

الفهـــرس

الاهـــــداء

الى كل أخ محب للعلم متطلع لعزة المسلمين وكرامتهم، حريص على هدايتهم وافادتهم .

أهـــدي هـــذا الكتاب مع دعائي للجميـــع

وشكري وتقديري



كتـــاب لم تكـــن تدري بأني
ســـأنقله اليـــك بغير مـــن
فصنه اذا ظفرت به وكن لي
على نشر الفضيلة خير عون

المؤلـــف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله العليم الخبير ، السميع البصير ، الحي القيوم ، الدائم الذي هو على كل شيء قدير ، نحمده على هدايته لنا ، ولطفه بنا ، وحمايته عقيدتنا ، وصيانته ديننا ، ونثني عليه سبحانه بما هو له أهل ، ونشكره على سوابغ نعمه وعظيم فضله ، فنعمه لا تحصى ، وانعامه لا يحده العدد فيستقصى ، فله الحمد حقا ، وله الخضوع تعبدا ورقا ، فهو المعبود بحق ، وهو المذكور بيقين وصدق امرنا وعلينا الامتثال ، ونهانا وعلينا اجتناب نواهيه في كل حال ، جعل في عباده هداة مهديين ، رحمة منه لحفظ العلم في بلاد المسلمين ، وصيانة سنة سيد المرسلين ، فما من زمان ولا مكان الا وله من هذا الجعل نصيب ، ولا منبر الا وله فيه مرشد وخطيب ، أحاط الامة المحمدية بعنايته التي لم تحظ بها أمة من الامم ، ويسر لها من أسباب الهداية ما دفع عنها البلاء والنقم ، فهي بذلك باقية ما بقي الزمان ، عامرة بلادها دائما وأبدا بالهدى والايمان ، نسأله تعالى سؤال الراغبين ، وندعوه دعاء المضطرين ، ونلجأ الى جواره لجوء العائذين ، ونتوب اليه توبة الصادقين ، لعلنا نحظى منه بنظرة يخرجنا بها من مضايق الكروب ويدفع عنا بها شر الخطوب ، انه سميع قريب مجيب ، آمين . أما بعد :

بعون الله وتوفيقه وهدايته وتشويقه ، طرقت مستعينا به باب هذا البحث النافع ، بالتثبت والترفق حرصا على سلامة القارىء والسامع ، لا لاني المنفرد في هذا الميدان، فقد سبقني اليه لفيف من أجلة العلماء ارباب الاجتهاد والعرفان ، لكن لما لم يكن بد من احياء هذا التراث الوافر ، اخترت للنجاة من التخلف أفضل المصادر ، وجعلت ذلك دليلا على عظم المنة ، وعن يميني وعن شمالي بوارق

من لوامع سواطع الكتاب والسنة وسرت على بركة الله يحدوني الجد واليقين نحو ما صبوت اليه من تأليف هذا الكتاب الثمين ، حيث جاء ملما بشؤون الساعة صغراها وكبراها ، بعد أن طلبتها من أقصاها الى أدناها ، فما غاب عني فهو موكول لما تضمنه معناها ، وكل ما هو ثابت بنص الكتاب والسنة فعليه يكون المعول لانه من الزلل جنة وقد بدأت بذكر أشراط الساعة الصغرى ، حيث بدأت منذ عهد النبوة متوالية تترا ، وذلك بعد مقدمة تحدثت عما أحاط به النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهذا الشأن خبرا ، وقبلها ذكرت **الآيات** القرآنية الواردة في هذا الشأن مع شرحها المأخوذ عن العلماء ذوي التأييد والعرفان ، ثم جاء الحديث عن **الاشراط** الصغرى لكونها مقدمة للاشرط الكبرى ثم تحدثت عن مهدي آخر الزمان بحديث بعيد عن فتنة الشيطان ، ثم استعرضت بعض النواحي الهامة بالبيت الحرام ، ثم أوردت طائفة من الاحاديث المتعلقة بشؤون الساعة بكافة أنواعها ، مع ايراد ذكر الاشراط الكبرى حتى نهاية الزمان .

ثم أوردت بعض الاحاديث الواردة في السلامة من فتن آخر الزمان حرصا على اسداء النصح لبني الايمان ، ثم انتهى بي المطاف الى تقديم بعض النصائح الهامة مما ينبغي للمؤمنين أن يعتنوا بها لما لها من رجاحة الاهمية ، مع شروح بعض الاحاديث النبوية البهية ، والله أسأل أن يتولانا جميعا فيمن تولاه وأن يحفظنا جميعا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يجعل مسعانا خالصا لوجهه الكريم اقتداء بسنة سيد المرسلين مع دعائي لكل أخ محب لدراسة العلم وقد سميته **((لمعة البيان في احداث آخر الزمان))** جعله الله خالصا له ، ونافعا لعباده ومذكرا بالتوبة اليه انه نعم الهادي ونعم المعين . فأقول . وبالله التوفيق .

كلمة المؤلف

اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر أشراط الساعة في أحاديث كثيرة ، وفي مقدمتها الاحاديث التي تشير الى قربها كما نطق به القران الكريم . فقال عليه الصلاة والسلام « بعثت وأنا والساعة كهاتين » وضم بين السبابة والوسطى ، وفي حديث اخر « بعثت بالسيف بين يدي الساعة » وكما هو معلوم من أنه نبي اخر الزمان ، فالامر في غاية الوضوح من مرور أربعة عشر قرنا على بعثته وهي مدة كبيرة جدا لها أثرها في تقريب ما أشار اليه عليه الصلاة والسلام . وكما خصص لذلك من احاديثه الشيء الكثير ، فقد تضمنت ذكر كل حدث مستجد من حين ظهور أولها الى ما أعقب ذلك من الاشراط المتوالية حتى يومنا هذا والى أن ينفخ في الصور النفخة الاولى .

وقد جاءت الاحداث المستجدة مصدقة لاخباره عليه الصلاة والسلام كل كما أخبر عنه بوحي من الملك العلام ، وكما هو معلوم فانه عليه الصلاة والسلام لم يحدد الزمن التي تقع أو تحدث فيه الفتنة التي أخبر عنها ، بل كان يقول: « يأتي على الناس زمان يكون فيه كيت وكيت ، أو يكون في اخر الزمان ما هو كيت وكيت » أو « لا تقوم الساعة حتى يكون كذا وكذا . وهلم جرا أو يلفظ « يصبح » أو بين يدي الساعة كذا وكذا ، الى اخر ما جاء في هذا الشأن ، وهكذا

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما

فان جميع الاشراط الصغرى ظلت تظهر بتجدد الزمان حتى أصبحت الان ليس منها علامة غير معروفة بل جميعها وقعت فعلا كما ستراه مما سنقدمه لك مما هو مستند الى الاحاديث المشيرة الى ذلك واذا أردت التأكد مما أشرت اليه فعليك بمراجعة الكتب الموثوق بها لتقف على جلية الامر غاية ووضوحا فان العلماء لم يتركوا شاردة الا ردوها ولا واردة الا عدوها وبينوا لنا الغث من السمين ، ونصحوا لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم أجمعين ولم يتركوا ثغرة الا سدوها ، ولا شبهة الا اجتنبوها فاعاننا الله كما أعانهم وأهلنا جميعا لحمل ما حملوه انه نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

البــاب الاول

« الآيات القرآنيـــة الواردة في ذكر أشراط الساعة والسؤال عنها »

١ ـــ قال تعالى : « فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتـــة فقد جاء ؤشراطها »[٢] ـــ أي علامات الساعة وامارتها . وكانوا قد قرأوا في الكتب السابقة أن محمدا صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء ، وأن بعثته من أشراطها وأدلتها كمـــا ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كهاتين » وضم السبابة والوسطى وهذا لفظ مسلم وقد خرج هذا الحديث كذلك البخاري والترمذي وابن ماجة ، ويروى « بعثت أنا والساعة كفرسي رهان » وقيل « أشراطها » أسبابها التي هي دون معظمها ولذلك فقد جعلوا أشراط الساعة قسمين، صغرى ، وكبرى ، ويمكن القول بأن الاشراط تنقسم الـــى ثلاثة أقسام ، صغرى ووسطى وكبرى ، فعلى هذا التقسيم يكون الزمن الذي نحن فيه زمن الاشراط الوسطى ، وهـــي التي يعقبها الاشراط الكبرى ، والتي تبدأ بظهور مهدي اخر الزمان ، ثم يعقبه نزول عيسى عليه السلام . . الخ .

٢ ـــ قال تعالى : « أقتربت الساعة وانشق القمر »[٣] وهـــذا مثل قوله تعالى في سورة النجم « أزفت الازفة ، ليس لها من دون الله كاشفة » والازفة : هي القيامة ، ومعنـــى أزفت ـــ أي قربت ـــ لانه قد مضى أكثر عمر الدنيا ، فقـــد روي قتاده عن أنس رضي الله عنه أنه قال : « خطـــب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس تغيب

---

(٢) سورة محمد عليـــه السلام اية (١٨)

(٣) سورة القمر ايـــة (١)

فقال : « مابقي من دنياكم فيما مضى ، الا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى » قال : وما نرى من الشمس الا يسيرا، وتقدير الكلام انشق القمر واقتربت الساعة والفعلان اذا كانا متقاربين يجوز فيهما التقديم والتأخير ، قاله « الفراء » وذكر القرطبي فيتفسيره عن جماعة منالمفسرين قولهم «لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر فعلى هذا يكون معنى الاية الكريمة اقتربت الساعة وانشقاق القمر » ان الساعة اذا قامت انشقت السماء بما فيها وهذا الكلام محمول على وقوع ما أخبر عنه القران الكريم عند قيام الساعة ، ولكن القران الكريم ذكر أنه سيصيب القمر عندها خسوف ، وليس انشقاق والفرق بين الخسوف والانشقاق ظاهر فان معنى الخسوف هو عبارة عن ذهاب نور القمر بالكلية وقال بعض العلماء اذا خسف بعض القمر كان كسوفا واذا خسف القمر كله كان خسوفا فما يصيبه يوم القيامة على غير ما يصيبه قبلها ، ولكن انشقاق القمر قد وقع فعلا بدليل قوله تعالى « وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » سورة القمر ، وقد رأوه فعلا وذلك عندما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقالوا أي ـ المشركون ان كنت نبيا صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين ، نصفا على أبي قبيس، ونصفا على قعيقعان فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : ان فعلت تؤمنون ؟ قالوا : نعم : وكانت ليلة بدر ـ أي ـ ليلة تمه ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما قالوا ، فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي المشركين : يا فلان . يا فلان . اشهدوا ، وفي حديث ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش : هذا من سحر ابن أبي كبشة ، سحركم فاسألوا السفار . فسألوهم فقالوا ، قد رأينا القمر انشق ، فنزلت « اقتربت الساعة وانشق القمر » الايات ، وانشقاق القمر ، من معجزاته صلى الله عليه وسلم، وهي من المعجزات العلوية ٥١

٣ ــ قال تعالى : » يسئلونك عن الساعة أيان مرسها ، قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت في السموات والارض ، لاتأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها ، قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون»(٤)
والسؤال عن معرفة زمن وقوعها ، وذلك على وجه التحديد ، وهو سؤال تعنت وليس سؤال اذعان لان الذين سألوا ذلك ليسوا مؤمنين ، وقد قالوا : « ان كنت نبيا فاخبرنا عن الساعة متى تقوم ؟ وكما لا يخفى فان الاية الكريمة جاءت تسد باب مثل هذا السؤال ، لانه لا ينبغي لاحد أن يعلم ذلك ، لحكمة أرادها الله تعالى وفي معرفة أشراطها كفاية عن معرفة زمن وقوعها ، وقد تحدث القران الكريم عن اشراطها ، فالحزم أن يتأهب الانسان لمقابلتها ، لا أن يكثر السؤال عنها ، واليك معنى ما جاء في الاية من الفاظ كريمة.

قوله تعالى « أيان » ــ أي ــ متى زمن وقوعها ، «مرساها» وهو نفس المعنى لـ «أيان» ومعنى «لا يجليها لوقتها الا هو » ــ أي ــ لا يظهرها ، لان معنى «التجلية» «الاظهار» اي ــ اظهار الشيء المخفي ، ومعنى « لوقتها الا هو» ــ أي ــ لا يظهرها في وقتها الا هو ، ومعنى قوله تعالى «ثقلت في السموات والارض» ــ أي ــ خفي علمها على أهل السموات والارض لان كل ما خفي ثقيل على النفس والفؤاد ، ومعنى اخر لهذه العبارة ، «لا تطيقها السموات والارض لعظمها »ومعنى «لاتأتيكم الا بغتة» ــ أي ــ فجأة ، والخطاب عام وليس خاصا بهم وقد خوطبوا بهذا الخطاب ، مع أنها تقوم على غيرهم ، بعد طلوع الشمس من مغربها ، لان قيام الساعة حكم عام يشمل جميع الخلائق لانهم يتساوون فيها بالموت ــ أي ــ يكونون أمواتا غير أحياء فتقوم عليهم مرة واحدة ، فتشملهم جميعا دون استثناء .

---

(٤) سورة الاعراف اية ١٨٧

ومعنى قوله تعالى «يسئلونك كأنك حفي عنها» — أي — يسئلونك عنها كأنك حفي بهم ، فرح بسؤالهم ، مكرم اياهم باخبارك اياهم عنها ، وذلك لانهم قالوا : بيننا وبينك قرابة فأسر الينا بوقت الساعة ، غير أن الجواب جاء يسد عليهم باب السؤال مرة اخرى ، وقال : « قل انما علمها عند الله » وهذا ليس تكرايرا للجواب ولكن العلم الاول ، زمن وقوعها لا يعلمه الا الله ، والثاني ، لا يعلم كنهها الا الله تعالى « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » — أي — لا يعلمون أن النبي عليه الصلاة والسلام ليس عنده علم الساعة والله اعلم .

٤ — « يسئلونك عن الساعة أيان مرسها فيم أنت من ذكرها ، الى ربك منتهها » — أي — في أي شيء أنت يا محمد من ذكر الساعة والسؤال عنها ، قال : ابن عباس : سأل مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « متى تكون الساعة ؟ استهزاء » فنزلت هذه الاية ، وقال عروة بن الزبير لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزل قوله تعالى «الى ربك منتهها» ، وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تقوم الساعة الا بغضبة يغضبها ربك »

٥ — قال تعالى « وما يدريك لعل الساعة قريب »[٦] والقريب عند الله تعالى قريب فعلا ولو كان عندنا بعيدا كما ذكر ذلك في اية اخرى بقوله عز وجل « وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا »[٧] وفي هذا الحث والحض على العمل بالكتاب وتحقيق العدل الالهي فيما بين الناس ، فان كل ما هو ات ، آت وكل ما هو آت قريب ، قال تعالى « وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ، ان الله على كل شيء قدير »[٨]

---

(٥) النازعات الايات ٤٢ — ٤٣ — ٤٤ (٦) الشورى
(٧) الاحزاب (٨) النحل

وقال تعالى « واقترب الوعد الحق »[٩] وقال تعالى «أقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون»[١٠]

وقد جاء خبر لعل بصيغة المذكر بينما لفظ الساعة مؤنث ، وذلك لان تأنيثها غير حقيقي لانها كالوقت ، وللمعنى لعل البعث قريب أو لعل مجيء الساعة قريب ، وقال الكسائي : قريب نعت ينعت به المذكر والمؤنث والجمع والمفرد بمعنى ولفظ واحد ، ومعنى اخر حذفت هاء التأنيث ذهابا بالساعة الى اليوم ، كما في قوله تعالى : « ان رحمة الله قريب من المحسنين » ذهابا بالرحمة الى العفو ، اذ ليس التأنيث أصليا ، ٥١

٦ ـ قال تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه »[١١] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما نزلت «اقتربت الساعة وانشق القمر» قال الكفار : ان هذا يزعم أن الساعة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون ، فأمسكوا وانتظروا فلم يروا شيئا فقالوا : ما نرى شيئا ، فنزل قوله تعالى : « اقترب للناس حسابهم » فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة ، فامتدت الايام فقالوا : ما نرى شيئا ، فنزل قوله تعالى : «أتى أمر الله» فوثب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، خوفا ، فنزل قوله تعالى « فلا تستعجلوه » فاطمأنوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار باصبعيه السبابة والوسطى يقول « ان كادت لتسبقني فسبقتها » وقال : ابن عباس رضي الله عنهما ، كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ، وأن جبريل عليه السلام لما مر بأهل السموات مبعوثا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا ـ أي ـ أهل السموات الله أكبر قد قامت الساعة .

---

(٩) الانبياء

(١٠) الانبياء

(١١) النحل

الباب الثاني

في ذكــر أشراط الساعة الصغرى

ولانها قبل الاشراط الكبرى قدمنا ذكرها في هذا البـــاب فنقول وبالله التوفيق : روى البخاري ومسلم رحمهما الله ، عـــن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال : « قام فينــا رســول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ماترك فيه شيئا الى قيام الساعة الا ذكره علمه من علمه ، وجهله من جهله ، وقد كنت أرى الشيء قد كنت نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل اذا غاب عنه فــرآه فعرفـــــه » .

وقد جاءت هذه الاشياء يتلو بعضها بعضا ، كل كما أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه سنذكرها على سبيل الاختصـــار مكتفين بذكر أسمائها كما يتطلبه حجم الكتاب ، فنقول :

بعد أن ثبت بأن بعثته صلى الله عليه وسلم ، بين يـــدي الساعة ، لأنه نبي اخر الزمان ، ثبت كذلك بأن موته صلوات الله وسلامه عليه من الامور التي تكون بين يدي الســاعة ، كمـــا ثبت من حديث عوف بن مالك حيث قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعدد بين يدي الساعة ستا : موتي ثم فتـــح بيـــت المقدس الحديث » ولان الاحداث تأتي بعد موته كما بدأت بظهور كذابين ودجالين أدعوا النبوة وارتداد بعض الناس عـــن الاســـلام وردهم الى حوزته بالسيف واستشهاد أمير المؤمنين عمر بـــــن الخطاب رضي الله عنه على يدي غلام المغيرة بن شعبة واستشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتشاجر الصحابـــة الكرام بسبب ذلك وما حصل بسبب ذلك من قتال وانقسام بعض الطوائف بسبب التحكيم وفتح بلاد فارس والروم وظهور الاسلام على جميع الشرائع في الارض وتنازل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن عن الخلافة واستشهاد الحسين بن علـــي رضي الله عنه في كربلاء وظهور الفتن لسبب تطورات الاحـــداث

على اختلاف أنواعها كوقعة الجمل وصفين والحرة وما أصاب المدينة المنورة والكعبة المشرفة من أذى وقتل ابن الزبير على يد الحجاج وقتال أهل المدينة وفتنة الفاطميين واستيلائهم على المغرب وفتنة التتار ونار الحجاز التي اضاءت لها أعناق الابل ببصرى وظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك وفتنة القرامطة وزوال بعض الجبال عن أماكنها ووقوع خسوفات ثلاث خسف في المشرق وخسف في المغرب وخسف في جزيرة العرب وكثرة الزلازل والقتل والرجف والمسخ والقذف والريح الحمراء وما وقع من الامور العظام من القحط وغيره ورفع الحجر الاسود ورضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط وظهور كوكب له ذنب وكثرة الموت كطاعون عمواس وكون الفتن تظهر بعد المائتين ويكون أسعد الناس لكع بن لكع والقابض على دينه كالقابض على الجمر وأن يتباهى الناس في المساجد وأن يقل القطر وذهاب الصالحين الاول فالاول حتى تبقى حثالة كحثالة الشعير لايباليهمالله تعالىباله ومنها تصديقالكذاب وتكذيب الصادق وتأمين الخائن وتخوين الامين وظهور اللواط وظهور المعازف والقيان وكثرة الشرط وفشو التجارة واستحلال الخمر والربا واتخاذ الامانة مغنما واتخاذ الزكاة مغرما والمغانم دولا وارتفاع الاصوات في المساجد وعقوق الوالدين ولبس الذهب والحرير واتقاء الرجل مخافة شره وتمني الموت واستفاضة المال وأن يكون زعيم القوم أرذلهم كأن يكون منافقا أو ملحدا وأن يلعن اخر هذه الامة أولها ودخول الفتن في كل بيت وهدنة يغدر فيها أعداء المسلمين والتطاول في البنيان وأن تلد الامة ربتها وأن يستخدم الصغير الكبير . وأن تزخرف المساجد وأن تظهر البدع ويقل الحياء وأن تترجل النساء وتظهر النساء الكاسيات العاريات رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة وأن يطلب العلم لغير الدين ويباع الحكم وتظهر شهادة الزور والسحت والرشوة والظلم والبغي والجور والفساد في الارض ونصر الظالم وخذلان المظلوم وتعطيل الحدود والحكم بغير ما أنزل الله وقراءة القرآن بالالسنة بحيث لا يتجاوز الحناجر وأن يوسد الامر الى غير أهله كالكفرة والفسقة

والظلمة ومنع الزكاة والمن بالصدقة وأن يتكلم الرويبضة ، وأن يكون السلام بالتعارف وأن تكثر الغيبة والنميمة والحلف بغير الله والطلاق وأن تظهر الفواحش وأن يتبع الهوى والشهوات وتضيع الصلوات وتعطيل أمر الجهاد وأن يظهر الاشر والبطر والتكاثر والتطاحن على الدنيا والحسد حتى يكون البغي عاما وأن تداعي الامم على الامة الاسلامية كما تتداعى الاكلة الى قصعتها وأن يكون هلاك الرجل من أجل المال وأن يعير الفقير لفقره وأن يروغ المؤمن بدينه روغان الثعلب وأن تتنافر القلوب وتتآلف الالسنة وأن تقطع الارحام وتؤكل الاموال بالباطل وأن يظهر الغش والمداهنة ويرتفع الخشوع من المصلين وأن تتفرق الامة الى بضع وسبعين شعبة وأن يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كحرق السعفة وأن يتدافع أهل المسجد لايجدون أماما يصلي بهم وأن تكثر الخطباء والقراء وتقل الفقهاء وأن يكون الزواج من أجل المال وأن تطلب المعيشة بمعصية الله وأن يصدق المنجمون وأن يكون حديث المصلين في المساجد في أمر الدنيا ويكون أمر الناس طمعا كله وأن تتسع الامعاء وتنزع البركة وهو كناية عن عدم القناعة وأن يكتفي الناس بالاماني الكاذبة وأن يظهر موت الفجاءة وأن يقل الكرام وتكثر اللئام ، وأن تكسد الاسواق ويساء الجوار وأن تضيع الامانة وأن يقهر صاحب الحق وترد حجته عليه وأن يكثر الهرج وتكون الفتن كقطع الليل المظلم ، وأن يباع الدين بعرض الدنيا ، وأن يستأجر على الغزو ، وأن يرى الهلال قبلا فيقال لليلتين ، وأن يكون المؤمن ذليلا وأن تخلوا القلوب من الخير وأن يكثر الهمازون واللمازون والغمازون ، وأن تدفع الزكاة للاجراء ، ويقدموا على غير المستحقين وأن ترتكب الكبائر ويترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تطمئن القلوب الى الدنيا وينسى الموت وأمر الاخرة وأن تتغير معالم الدين وان يقتل الرجل الرجل لا يدري فيم قتله وأن يقبض العلم ويظهر ولد الزنا ويظهر السقارون وهم الذين تكون تحيتهم بينهم — اذا تلاقوا — التلاعن ، وان تحزن ذوات الاولاد لعقوق أولادهن لهن وتفرح العواقر ، وتقوم الخطباء

فيجعلون حق الله لغيره ، وأن يمر الرجل بالمسجد لايصلي فيه ركعتين وأن يجتمع القوم لايكون فيهم من يهاب في الله عز وجل وأن يتولى النساء مكان الرجال ويقعد الرجل مع القوم لا يمنعه من القيام من بينهم الا مخافة أن يقعوا فيه وأن تذل العلماء ويظهر فيهم القتل ، ويستهان بشأنهم ، ويستهزأ بهم وأن يذهب حياء الناس من الله تعالى والناس وان لايوقر الصغير الكبير ولا يرحم الكبير الصغير وأن تمتطي ذوات الفروج السروج ويطلق ذلك على كل من السيارة والطيارة وما الى ذلك وأن يستهان بالقران فيتعرض للتمزيق وغير ذلك وأن يعظم رب المال وينكر الحق وتكون المشورة للنساء وتكون القلوب متباغضة والالسن مختلفة والاهواء جمه وأن تطول المنابر وتشارك المرأة زوجها في التجارة وأن تتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء وأن تكون القلوب كقلوب العجم مع أن الالسنة السنة العرب وأن يتبايع بالعينة ، وهو بيع يحتال به صاحب المال على اكل الربا وهو معروف في كتب الفقه وأن تمات السنة وتحيا البدعة وتكون العبادة عند قوم التلاوم وتطلب الدنيا بالاخرة ويذهب الاخلاص في الاعمال ، وتختلف القلوب وتأتلف الالسنة وأن يفتخر الظالم بظلمه ويشيد البنيان وتنتقض المواثيق ، ويتقارب الزمان ويكون الحلف بغير الله تعالى كالطلاق وما شابه ذلك وان تصعد الجهال المنابر ويركن العلماء الى الدنيا وأن تضيق الطرقات ويكثر اللعب بالميسر ونحوه ، وتظهر الالعاب المختلفة ، والمزامير وغير ذلك وأن يقتل البرىء انتقاما لا قصاصا كما يحدث عند بعض الجهله الذين لا يقفون عند حدود الشرع والاعجاب بالرأي وان كان مخالفا للصواب يكون أمرا مفروضا على الغير بغير حق ، وأن يظهر الشح ويطفف المكيال والبخس في الوزن وأن يظهر دعاة يدعون الناس الى النار ويصرفونهم عن طاعة الله عز وجل وارتكاب المعاصي كشرب الخمر وأكل الربا وغير ذلك وأن يلعن اخر هذه الامة أولها الى غير ذلك من الامور المخالفة للدين وادابه وتعاليمه وحدوده عياذا بالله من ذلك كله .

وانت ترى أن هذه الامور التي ذكرتها لك موجودة في كل

زمان ومكان فالذي لاتراه في ناحية تراه في الاخرى وهكذا مما يزيدك يقينا من أن النبي صلى الله عليه وسلم « لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وأن ما أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه كائن لا محالة ، وما ذكرت فهو بدون ريب من أشراط الساعة الصغرى والوسطى ، والتي يعقبها الاشراط الكبرى ، التي تبدأ بظهور مهدي اخر الزمان ثم نزول عيسى عليه السلام وتنتهي بطلوع الشمس من مغربها واغلاق باب التوبة بعد ذلك ، واخر ما يكون رفع الكعبة والقران من الصدور والسطور ، وعندها تقوم الساعة وسترى ذلك مفصلا كلا عند ذكره من هذا الكتاب وفي مكانه منه .

الباب الثالث

في ذكــــر المهدي

خلاصة ما قيل في هذا الامام المهدي أنه سيظهر في اخر الزمان وان اسمه محمد بن عبد الله أو أحمد ابن عبد الله وأنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضى الله عنها بنت محمد صلى الله عليه وسلم يتصل نسبة بالحسن أو الحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه يشبه الرســول صلى الله عليه وسلم في الخلق لا الخلق وأنه أجلى الجبهة أقنى الانف وأنه يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وأنه يقيم شريعة الاسلام ويحيي ما اندثر من سنة رسول الله صلى الله عليه وســلم وان الاسلام تعلو كلمته في عهده ويلقي بجرانه[12] الى الارض ويمكن له ويكثر الرخاء في زمانه من وفرة العدل وكثرة ما يعطي من المال لانه يحثو المـــال حثوا لايعده عدا وأنه يمكث سبع سنين الــــى تسع سنين وفي اخر عهده يظهر الدجال ، وينزل عيسى عليــــه السلام فيقتل الدجال وينتهي أمره ويقوم عيسى في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة الاسلام وذلك بعد وفاة المهدي واعلـم أنه ستكون علامات قبل ظهوره لابد من الاشارة اليها وذلك لابطال مزاعم المبطلين .

من هذه العلامات أنحسار الفرات عن جبل من ذهب ، ومنها انكساف القمر في أول ليلة من رمضان ، والشمس في وسطه ومنها أن يكون اختلاف كثير في الارض وبـ ين الامم ومنها ظهور رجـــل يقال له السفياني وظهور الابقع والاصهب والاعرج الكندي وظهور الجـــور والظلم بحيث لا ينصر مظلوم ولا يقام في الارض عدل وبذلك يفلت الزمام وتضطرب الحياة وغير ذلك وهناك علامات اخــــرى تركنا ذكرها روما للاختصار .

---

(١٢) يقر أمره ويستقر رواه ابو داوود

الباب الرابع

في ذكر الاحاديث الواردة في المهدي

وهي طائفة من الاحاديث الشريفة انتقيتها من بين أحاديث كثيرة مذكورة في كتب متعددة مؤلفة في هذا الشأن .

١ ــ روى الامام أحمد وأبو داوود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدنيا ولاتنقضي حتى يملك رجل من أهــل بيتي يواطىء اسمه اسمي » (وفي رواية وخلقه خلقي)

٢ ــ أخرج أبو داوود ونعيم ابن حماد والحاكم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الانف يملا الارض قسطا وعدلا كمــا ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين » .

٣ ــ أخرج أبو داوود والطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو لم يبق مــن الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » .

٤ ــ أخرج الترمذي وحسنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا ، ــ زيد الشاك ــ فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني اعطني ، فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله »

٥ ــ أخرج الطبراني في الاوسط عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « أمنا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله ؟ قال : بل منا بنا يختم الله كما بنا فتح وبنا يستنقذون من الشرك وبنا يؤلف الله بين

قلوبهم بعد عداوة بينة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك » .

٦ — أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه فيقول عيسى عليه السلام : ألا وان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الامة » .

٧ — أخرج الدار قطني في سننه عن محمد بن علي قال : « ان لمهدينا أيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والارض ينكسف القمر لاول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه ولم يكونا منذ خلق الله السموات والارض » .

٨ — أخرج نعيم بن حماد عن علي كرم الله وجهه قال : « المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي عليه السلام واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال في كتفه علامة النبي صلى الله عليه وسلم يخرج براية النبي عليه الصلاة والسلام من مرط معلمة سوداء مربعة فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج المهدي يمده الله بثلاثة الاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم » .

٩ — أخرج أيضا نعيم بن حماد عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يأوي الي المهدي أمته كما تأوي النحل الى يعسوبها يملا الارض عدلا كما ملئت جورا حتى يكون الناس على مثل أمرهم الاول لايوقظ نائما ولا يريق دما » .

١٠ — أخرج ابن الجوزي في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملك الدنيا أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان والكافران نمرود وبخت نضر وسيملكها خامس من أهل بيتي » يعني المهدي .

١١ ـ أخرج ابو عمرو الداراني في سنده عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدي فيقال : تقدم يا نبي الله فصل بنا فيقول هذه الامة أمراء بعضها على بعض » وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق .

« **تنبيه** » جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم » .

اعلم أن هذا الحديث متكلم فيه لمعارضته الاحاديث الصحيحة وعلى تقدير صحته أن المراد من قوله « ولا مهدي الا عيسى بن مريم » ـ أي ـ لا مهدي على الاطلاق بالنسبة لاخر الزمان الذي يكون فيه عيسى عليه السلام ولانه من أولي العزم المرسلين وبحكم رتبة النبوة والرسالة فهو أفضل من « مهدي اخر الزمان » ولـه فضيلة السبق على المهدي منذ وجوده الا أن كليهما يشتركان في هذا الاسم مع اعتبار تفاوت الرتبتين فالحديث لا يعني المعارضة وانما يعني اظهار رتبة النبوة على رتبة الخلافة مع أنهما يتساويان في الحكم بالشريعة الاسلامية وكلاهما يطلق عليه اسم مهدي وبالله التوفيق « كتبه مولفه »

---

(١٣) ذهبت الاخبار الى أن عيسى عليه السلام ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وانه يصلي خلف المهدي اخر صلاة من حياته وان هذه الرواية التي نصت على ان نزوله ببيت المقدس والتوفيق بين الروايتين ان نزوله من السماء على المنارة البيضاء ومعنى نزوله ببيت المقدس يكون من حيث المعنى اللغوي كما يقال نزل فلان على فلان فالنزول من السماء على المنارة البيضاء والصلاة خلف المهدي في بيت المقدس .

« فصـــــل »

اعلم انه جاء في بعض الاخبار أن ظهور المهدي عليه السلام يكون في وتر من السنين سنة احدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع وأنه بعد أن تعقد له البيعة يسير جنوده في الارض وأن السنة من سنيه كمقدار عشر سنين وأن سلطانه يبلغ المشرق والمغرب وتظهر له الكنوز ولا يبقى في الارض خراب الا يعمره وجاء فـــي بعض الروايات الاخرى زيادة مدة على ما ذكر والزيادة تعنـــي امتداد المدة لاجل يعلمه تعالى ولكن صريح النص كما علمت يفيد أن مدته تسع سنين ولا مانع من اطلاق معنى الامتداد على وجود البركة في الحياة بجميع نواحيها حتى تكون السنة كمقدار عشر سنين وحري أن تحظى هذه الناحية بمثل هذا الاطلاق كقولـــه صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن ينسأله في أجله ويبارك لـــه في رزقه فليصل رحمه » .

ومعلوم أن الاجل والرزق مقدران لايزاد فيهما ولا ينقــص منهما شيء وانما المراد من ذلك زيادة البركة فيهما وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ورأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه » وذلك لمـــا في بر الوالدين من الزيادة في البركة في العمر وغـــيره وبما أن الناس يكونون في عهد المهدي على مثل عهدهم الاول من الطاعة والالفة والمحبة والامن والعافية والطمأنينة والشــــعور بالراحة والسرور وعدم التوقع أو التوجس بحدوث ما ينقص من ذلك شيئا فان الحياة مع توفر هذه الامور لاهلها تكون بلا شك حياة طيبة كريمة مباركة وهذا لا يخفى على من عنده أدنـــى تأمـــــل .

« فصـــــل »

نذكرفيه أسماء الكتب المؤلفة في المهدي

١ ــ البيان في أخبار صاحب الزمان ــ للكنجي الشافعي

٢ ــ البرهان في مهدي اخر الزمان ــ للمتقـــي

٣ ــ أخبــار المهدي ــ لعباد الرواجني
٤ ــ العرف الوردي في أخبار المهدي ــ للسيوطي
٥ ــ القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ــ لابن حجر
٦ ــ عقد الدر في أخبار المهدي المنتظر ــ لجلال الدين يوسف الدمشقي .
٧ ــ الجواب المقنع المحرر في أخبار عيسى والمهدي المنتظر ــ للشنقيطي
٨ ــ رسالة التوضيح في تواتر ما جاء من الاحاديث في المهدي والدجال والمسيح ــ للامام الشوكاني
٩ ــ كتاب صفة المهدي ــ لابي نعيم الاصفهاني
١٠ ــ حقيقة الخبر عن المهدي المنتظر ــ لصلاح الدين عبــد الحميد الهادي
١١ ــ المهدي واشراط الساعة ــ للصابوني

وأما علمــاء السنة الذين أفردوا في كتبهم أبوابا خاصة في المهدي فلا يبلغها الاحصاء وكلهم متفقون على ظهوره في اخــر الزمان دون شك لان الاحاديث الواردة في المهدي بلغت حد التواتر كما صرح به الشافعي وغيره وقد جاء في فتح الباري علــى صحيح البخاري لابن حجر رحمه الله قوله تواثرت الاخبار بــأن المهدي من هذه الامة وأن عيسى عليه السلام سينزل ويصلــي خلفه علمــا بأن عيسى عليه السلام « رفعه الله اليه » وأنــه سينزل جزمــا .

وقال : الشوكاني في رسالته المسماة بالتوضيح في تواتر ما جاء من الاحاديث في المهدي والدجال والمسيح قال : وقد ورد في نزول عيسى عليه السلام تسعة وعشرون حديثا ثم سردها وقال بعد ذلك وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على مــن لــه فضل اطلاع فتقرر بجميع ما سقناه أن الاحاديث الواردة في « المهدي المنتظر » متواترة وكذلك الاحاديث الواردة في الدجــال متواترة والتي وردت في عيسى عليه السلام كذلك متواترة فهــل يسوغ بعد هذا لبعض أهل العلم أن يرد أحاديث المهدي ويقــرر

غيرها وكلها متواترة اذ أن الاحاديث المتواترة تعتبر حجة في الشرع ولا يجوز لاي كان أن يردها لان رده لها غير مستند الى دليل .

« فصـــــل »

نذكر فيه ما جاء في مسند الامام أحمد عن المهدي

١ ــ قال رحمه الله : حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » اسناده صحيح .

٢ ــ حدثنا عمر ابن لبيد عن عاصم ابن ابي النجود عن زر بن حبش عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي اسمه يواطىء اسمي » اسناده صحيح .

٣ ــ حدثنا يحيى يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدنيا ــ أو ــ قال لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » .

٤ ــ مروى بسنده عن محمد بن الحنفية عن أبيه عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة واحدة » أسنده ورواه ابن ماجة أيضا .

٥ ــ حدثنا حجاج وأبو نعيم قالا حدثنا فطر عن القاسم عن أبي بزه عن أبي الطفيل قال : حجاج سمعت عليا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لبعث الله رجلا منا يملؤها عدلا كما ملئت جورا »

« هذه الاحاديث وردت باسانيد صحيحة وقد رمز لصحتها العلامة أحمد محمد شاكر » .

« فصـــــل »

نذكر فيه ما جاء في التذكرة عن المهدي[١٤]

١ — روى مسلم عن أبي نظره قال : كنا جلوسا عند جابر بن عبد الله رضي الله عنـــه فقـــال « يوشـــك أهل العـــراق أن لا يجبى اليهم قفيز ولا درهم ، قلنا من أين ذاك ؟ قال من قبل العجم يمنعون ذاك ثم يوشك أهل الشام أن لا يجبى اليهم دينار ولا مدى — أي — مد قلنا له من أين ذاك ؟ قال من قبل الروم ، ثـــم سكتَ هنيهة ثم قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يكون في اخر أمتي خليفة ، يحثي المـــال حثيا ، ولا يعده عدا » قيـــل لابي نضرة وأبي العلاء أتريان أنه عمر بن عبد العزيز ؟ قالا : لا

٢ — وفي الحديث : أن جيشا يؤمون البيت الحرام فـــاذا استووا على البيداء نادى أولهم اخرهم ارفقوا خسف بهم وبامتعتهم وأموالهم وذراريهم الى يوم القيامة قال عبد الله بن عمرو ، فاذا خسف بالجيش بالبيداء فذلك علامة خروج المهدي » انتهى .

« فصـــــل »

يقول مولفه أعانـــه الله تعالى : اعلم أن النبي صـــلى الله عليه وسلم أخبر في الحديث الشريف أن جيشا يغزو الكعبـــة فاذا كانوا ببيداء من الارض خسف بأولهم واخرهم ثم يبعثون على نياتهم وقد جاء في بعض التصانيف أن السفياني هو الـــذي يسير ذلك الجيش الى المهدي بعد مبايعته لان أمر السفياني يومئـــذ يكون قد استفحل الى حد كبير من النفوذ والسيطرة والاستقرار ولان سلطانه يمتد حتى يشمل بلادا واسعة .

وهذه الاخبار تشير الى أن المهدي عليه السلام لم يتوقـــع ظهوره في وقت قريب لبعد الاحتمال لان ما عليه العالم في هـــذه العصور العارمة ومظاهره القوة الهائلة يستحيل معها ظهور رجل كالسفياني وأنه يستطيع أن يبسط سلطانه على البلدان الواسعة

---

(١٤) تذكره القرطبي وهي المشهورة

وعليه فان أمره يدخل في حكم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى لكن ظهور الاحداث العارمة والاختلافات الكثيرة المتجددة وسير العالم بما يملك من قوة نحو نشوب حرب عالمية ربما كان ذلك سببا في تقريب ظهوره اذا ما حدث تغيير عالمي بسبب الحرب وبعدها يمكن أن تحدث أوضاع غير ما عليه العالم اليوم فيكون ما هو كائنا في وقته المقرر له في علم الله تعالى .

ملاحظة : قوله تعالى « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها أسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم »(١٥)

هذه الاية الكريمة قيل في بعض سبب نزولها ، أنها نزلت في قريش حينما صدوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في غزوة الحديبية عن المسجد الحرام .

وفي قول اخر أنها نزلت في « بخت نصر » لما أخرب بيت المقدس وجعل مكانه محلا للقمامة حتى طهره المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل في النصارى وأمثالهم الذين ساعدوا « بخت نصر » على اخراب بيت المقدس .

وقيل المراد من هذه الاية اطلاقها على كل من يفعل ذلك أيا كان وهو الصحيح لان الاية تقول « مساجد الله » ولم تعين مسجدا في مكان ما .

أما شواهد الواقع فهي تقرر مطابقة اطلاق معنى الاية الكريمة وذلك بعد منع المسلمين في مدينة الخليل وغيرها من الصلاة في المسجد الابراهيمي وغيره بسبب تحويله الى كنيس خاص باعدائهم كذلك فان في احراق المسجد الاقصى ووضعه في حالة محدودة بحيث لا يتمكن المسلمون من اقامة الشعائر الدينية فيه دليل على صحة اطلاق معنى الاية الكريمة والله تعالى يعلم نوايا الاعداء تجاه المسجد الاقصى بل وجميع المساجد في الارض

---

(١٥) البقرة اية ١٤

المحتلة فيجب على الامة الاسلامية أن تأخذ بزمام المبادرة قبل فوات الاوان ٥١

« بشرى »

في قوله تعالى « اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم » .

لما تبين لك من اطلاق معنى الاية الكريمة وأن الواقع يشهد بصحة هذا الاطلاق كما أشرنا ففي قوله تعالى « لهم في الدنيا خزي » دليل على أن كل من يفعل ذلك سوف يصيبه ذلك الخزي ان عاجلا أو اجلا والخزي يكون بكثير من الامور كدفع الجزية مثلا والاسر والنصر على من يفعل ذلك «والله يقضي بالحق» وهو كما قال تعالى «والله يحكم لا معقب لحكمه وهو شديد المحال» «ولا مبدل لكلمات الله» وهذا لا يعني ان نكتفي بذلك وهو حاصل لا محالة ونترك الامر للزمن لان في ذلك اعطاء الاعداء فرصة تكلف المسلمين مجهودا كبيرا هم في غنى عنه لو أنهم طبقوا قانون الجهاد في سبيل الله من أول يوم وفي قوله تعالى « وسعى في خرابها » تحذير شديد للمسلمين من نوايا أعدائهم الذين يهدفون الى النيل من مقدساتهم كلما سمحت لهم بذلك الظروف .

ولذلك فانني أهيب بالامة الاسلامية أن تهب لتخليص المقدسات الاسلامية من أيدي أعدائهم وأن يبذلوا في سبيل ذلك كل غالٍ وثمين والله تعالى « يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

« لماذا استحقوا هذا الخزي في الدنيا ؟ »

لان الله تعالى أضاف المساجد له بقوله « مساجد الله » ومعلوم أن الخلاف بين المسلمين وأعدائهم ينشأ من قبل أعدائهم وليس من قبلهم لانهم دائما ومع جميع الشعوب يقفون الى جانب الحق وشريعة الاسلام واضحة في جميع مواقفها فهي تعطي كل ذي حق حقه سواء كان صاحب ذلك الحق معاهدا أو مهادنا او غير ذلك .

ولمـــا كانت المساجد لله تعالى وأنها أقيمت ورفعت علـــى أن تظل دائما مصونة الحرمة لانها مصدر كل خير وهداية وصلاح وأن الذي يحافظ على حرمة المساجد فكأنما حافظ على حرمـــة صاحبها ومن انتهك حرمتها فكأنما انتهك حرمة الله تعالى قـــال تعالى « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

والمساجد كذلك انما وجدت وفق المنهج الرباني فهي بحكم وجودها الدائم حق من حقوق الله تعالى وبيوت له يجب علـــى العباد جميعهم تقديسها والمحافظة عليها فالذي يمنع المساجد مـــن أن يذكر فيها اسمه تعالى ويسعى في خرابها مخلوق متطاول على سلطان الله تعالى وهاتك لحرماته وخارج على أوامره بظلمـــه وغطرسته والله جل جلاله غيور على حرماته فكـــل ظالم متكبر لا يؤمن بيوم الحساب يهتك حرمات الله تعالى ويغير شريعته في سلطانه سوف لا يهمل الله أمره وان أمهله بعض الوقت واذا تمادى في ظلمه وظلم العباد وسعى بالفساد في البلاد أملى الله له ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر وألبسه ثوب الخزي في الدنيا وأذاقه العـــذاب الاليم في الاخرة وتلك سنة الله تعالى ولا تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا قال تعالى « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلســـون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »[١٦] .

وفي الحديث الشريف « ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلتـــه » .

---

(١٦) الانعـــام اية ٤٤ ـــ ٤٥

الباب الخامس

« في معنى اخـــر الزمـــان »

اعلم وفقني الله واياك لطاعته أن الزمان المعبر عنه بـــأن له اخرا هو الذي بين ادم عليه السلام وبين قيام الساعة لان ذلك مما يمكن الحديث عنه أما ما قبل ادم وما بعد قيام الساعة فليس بالامكان التحدث عنه اذ انه غير معلوم لدينا بحال الا ما نعـــرف عنه بأنه ذو طرفين متصلين بالازل والابد أما الطرف الاول فقـــد نشأ مع خلق الله السموات والارض وهو غير معلوم لدينا ولا لدى أي انسان لعدم وجود الادلة التي تحدد ذلك بالنص الصريح وأن ما يجري من تخمينات حوله فلا يلتفت اليه لعدم استناده الــــى الادلة اليقنية . وأما الطرف الاخر المتصل بالابد فهو كذلك لا يدخل تحت حكم دوران الافلاك لانها تكون قد انتهت وبطل حكمها بانتهاء مدتها فليس فيه دقائق وساعات وأيام وأسابيع وشهور وسنون الا أن الذي نعرفه عنه أنه دوام مطلق مع أبد الاباد بدون انتهاء .

والحديث الذي ينص على كتابة المقادير قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة والذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على المـــاء »(١٧) فهو عبارة عن تقدير مدة قياسية من قبل النبي عليه الصلاة والسلام حيث أطلعه الله علـــى حقيقة هذا التقدير القياسي لان ما قبل السموات والارض داخـــل في حكم الازل وهو عبارة عن اثبات القدم لواجب الوجود فليس هو على الحقيقة زمنا وانما هو الحكم الثبوتي الذي يتعلق بوجـــوب القدم لمـــن ليس له أول وهو الله تعالى ولا يفهم من ذلك الا كون العرش كان على المـــاء كما قال « وهو الذي خلق الســـموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء » وأما ما حدده الحديث الشريف فهو تقدير قياسي كما ذكرنا ويبقى الامر هل المـــاء مخلوق

---

(١٧) رواه مسلم في صحيحه عن عمرو بن العاص

قبل العرش أم أن العرش يتقدمه في الايجاد الاول وهذا مالا يمكن معرفته الا أنه يوجد خلاف بين العلماء في تعيين قدم كل من العرش والقلم والكرسي والنور والظلمة فعند الامام أحمد عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » . قال الترمذي في هذا الحديث : حسن صحيح غريب والذي عليه الجمهور « أن العرش مخلوق قبل القلم » يقول تعالى : « وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء »(١٨) . فالعرش والماء مخلوقان بنص هذه الاية الكريمة قبل كل شيء والقطع بتقديم أحدهما على الاخر غير مسوغ .

وأما الايام التي خلق الله فيها السموات والارض فمختلف فيها عند العلماء فعند بعضهم كل يوم كألف سنة وعند الجمهور انها كأيامنا هذه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد عصر يوم الجمعة اخر خلق خلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل » رواه أحمد وكذلك رواه مسلم عن سريج بن يونس وطروف بن عبد الله ورواه النسائي بسنده عن أبي هريرة » وقد ذكر أن في هذا الحديث شيئا من الغرابة » لقوله تعالى « قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في اربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين وأوحى

---

(١٨) سورة هود اية ٧

في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصبيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم »[١٩] وذلك مما يجمله قوله تعالى « الله الـــذي خلق السموات والارض وما بينهمـــا في ستة ايام ثم استوى على العرش »[٢٠] ولنرجع الى ما نحن بصدده فالزمان الذي لــــه اخر كما تقدم وهو الذي بين ادم وقيام الساعة وهذا الزمن كذلك غير معروف بالضبط وان كان من الممكن أن يدخل تحت حكـــم الحساب لكن ليس هناك حسابات تشير الى ضبطه وقد حاولوا حصر ذلك من قبل احاديث الله أعلم بها ذكروا بأنها مروية عـــن النبي صلى الله عليه وسلم وهي تحدد هذه المدة وتحصرها في سبعة الاف سنة وهي قريبة من تسعة وهي تفيد أن بعثة النبي صـــلى الله عليه وسلم جاءت في اواخر الالف السادسة وبهذا يكون مـــدة أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تتجاوز الالف وخمسمائة سنة وهذا الكلام غير مسلم به لانه لو كان كذلك للزم أن تقوم الساعة في هذا الزمن ولكن أين نحن من الساعة والاشراط الكبرى بعد لم تظهر ؟ ونحن نعيش في زمن الاشراط الصغرى علما بأن الاشراط الكبرى تبدأ بالظهور وقت ظهور المهدي الذي ينزل فيه عيسى عليه السلام والقران الكريم يقول في عيسى عليه السلام « وانه لعلـــم للساعة فلا تمترن بها »[٢١] (الزخرف) ثم بعد ذلك تتتابع الاشراط كنظام انقطع سلكه فتتتابع حتى اخر علامة منها وفي صحيح مسلم عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال « اطلع علينـــا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون ؟ قالـــوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربهـــــا ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوفات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخـــر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم » هكذا وردت

---

(١٩) فصلت اية ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢
(٢٠) السجدة اية ٤

غير مرتبة : وهذه الايات العشر منها ما هو من الايات التـــي هي دون الكبرى ومنها ما هو من الايات الكبرى كما سيأتي ولنرجع الى ما نحن بصدده من البحث عن معنى اخر الزمان .

علمنا مما تقدم أن ظهور بعثة النبي صلى الله عليه وسلـم من علامات الساعة وذلك كما ورد في النصوص القرانية المشيرة لذلك كحادثة انشقاق القمر وما يفهم من قوله تعالى « اقتــرب للناس حسابهم » وقوله تعالى « اتى امر الله فلا تستعجلــوه » وقوله تعالى : « وما امر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب » وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وضم بين السبابة والوسطى وقد مر تخريجه » وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان كادت لتسبقني فسبقتها » الى غير ذلك مـــن الاخبار الثابتة في الكتاب والسنة .

وأما ما يتعلق بمعنى اخر الزمان من حيث التعبير اللغوي فهو في غاية الوضوح اذ أن معنى اخر مفهوم سواء كان اخر المسافة الذي يتعلق بالبعد المكاني أو البعـــد الزماني والمعنى يتناول جميع القياسات والمسافات وهو المعلوم .

وقد ورد لفظ اخر الزمان في كثير من الاحاديث النبويـــــة الشريفة والاحاديث في ذلك ذات وجوه متعددة فتارة تقول « اذا كان اخر الزمان يكون كذا وكذا ، واخرى تقول سيكون في اخـــر الزمان ما هو كذا وكذا وتارة تقول سيصيب أمتي في اخر الزمان ما هو كيت وكيت وأخرى تقول بين يدي الساعة كذا وكذا وتارة يقول لا تقوم الساعة حتى يكون كيت وكيت ، وهكذا وجميع هذه الالفاظ تلتقي على معنى أخر الزمان .

الا أنه لا يفهم من هذه النصوص الاشارة الى حد معين يعرف منه بعد الاخر فقد دخل في أوله ـــ اي ـــ اخر الزمان منذ أربعة عشر قرنا وهذه المدة الطويلة كلها تدخل في حكم اخر الزمـــان ومن خلال ذلك تعرف أن اخر الزمان لا يعني أنه يفيد التحديد وانما

يعني أنه اخر ليس بعده اخر .. اخر الا انه يمكن تقسيمه الى ثلاثة أقسام :

الاول : (أول الاخر ـ الثاني ـ وسط الاخر ـ الثالث اخر الاخر) وعليه فالعلامات جاءت ثلاثة أقسام صغرى وهي التي تقع أول الاخر ووسطى وهي التي تقع في وسط الاخر وكبرى وهي التي تقع في اخر الاخر .

والذي يفهم من النصوص النبوية أن القسم الاول من اخر الزمان قد انتهى والعالم اليوم في اوائل القرن الخامس عشر للهجرة ربما يعاصر اخر الوسطى أو : أول اخر الاخر والذي يبين ذلك ظهور العلامات الكبرى اي ظهور أول علامة منها وهي التي تبدأ بظهور «المهدي» الذي ينزل عليه عيسى عليه السلام ولا أقول ذلك جازما بظهور ذلك في أول القرن الخامس عشر لانه متروك لعلم الله تعالى والذي يقوى الاحتمال ظهور جميع العلامات الصغرى والوسطى حيث أنها ظهرت جميعها ولم يبق منها شيء تقريبا الا ظهر ويبقى الامر موقوفا على امتداد وقت هذه العلامات الوسطى والله أعلم .

وفي الحديث الشريف « اذا رأيت الخلافة قد نزلت الارض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والامور العظام والساعة يومئذ أقرب من يدي هذه الى رأسك » رواه أبو داوود والحاكم عن عبد الله بن حوالة وليس هناك خلافة يشار اليها من معنى هذا الحديث الا خلافة المهدي عندما يتخذ بيت المقدس مقرا لخلافته وامتداد الزمن مع العلامات الوسطى حتى ظهور هذه الخلافة لا يعلمه الا الله تعالى لكن ظهور كل من العلامات الصغرى والوسطى مؤشر يشير الى قرب هذا الظهور والله اعلم .

« فصل »

جاء في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام : « ساقي

القوم اخرهم شربا » والمعنى أنهم لو كان القوم الفا فساقيهم اخرهم في الشرب وليس بعده ساق اخر اذ ان العدد ينتهي اليه وبعد أن يشرب ينتهي هذا الاخر وكما جاء في قوله تعالى : وقالت طائفة من أهل الكتاب امنوا بالذي أنزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم»(٢٢) ومعنى وجه النهار « أوله » وسمى أوله وجها لانه أحسنه وهو أول ما يستقبل منه وقد قال بعضهم لبعض أظهروا الايمان بمحمد في أول النهار ثم اكفروا به في اخره فانكم اذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعونه ارتياب في دينه فيرجعون عن دينه الى دينكم ويقولون ان اهل الكتاب أعلم به منا ومعلوم ان اخر النهار هو مابين صلاة العصر الى المغرب وقال تعالى : « واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين» — أي — أن أهل الجنة يطلبون حوائجهم فيها بقولهم « سبحانك اللهم » فاذا قالوا ذلك حضرت حوائجهم بين أيديهم فورا وبعدها يحمدون الله على ذلك وليس بعد الحمد من ثناء والمعنى في غاية الوضوح فمعنى الاخر هو الخ ولما ثبت بالنص الثابت ان اخر الزمان يبدأ ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وينتهي بظهور المهدي الذي تتبعه الايات الكبرى حتى قيام الساعة وأن العلامات الصغرى والوسطى للساعة ظهرت اذن فمعنى ذلك أن ما بعد العلامات الوسطى الا الكبرى وعليه فلم يبق أمام الامر الا امتداد وقت هذه العلامات الى ما شاء الله تعالى بيد أن الواقع الذي يعاصر هذا الزمن من حيث انه لم يبق شيء غائب عن العيان يشير الى قرب العلامة الاولى من الكبرى والله اعلم (٢٣)

« بشرى »

قوله تعالى في سورة الاسراء : « وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » في هذه العبارة من الاية الكريمة وعيد من الله تعالى لمن خاطبهم وهم بنو اسرائيل وقد جاءت هذه العبارة في اخر سياق الايات الكريمة التي تحدثت عن بني اسرائيل حينما غزاهم

---

(٢٢) ال عمران اية ٧١ — ٧٢

(٢٣) كظهور جميع الاختراعات والاكتشافات والاسلحة المدمرة والمبيدة وغيرذلك

« نبوخذ نصر » من بلاد بابل بجنود فاقوا غيرهم في كثرة العدد والقوة والبأس الشديد وكان ذلك بسبب قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام والحادثة رهيبة جدا فيها عبرة ومزدجر وانذار شديد من الله تعالى لهم فانهم وكما هو معلوم من تاريخهم سيما المرحلة التي عاصروا فيها النبوة المحمدية لا تؤثر فيهم مثل هذه الاحداث الرهيبة ولا يتخذون منها مزدجرا ولا معتبرا اغترارا منهم بأنهم كما يزعمون « شعب الله المختار » ولا يلتفتون كذلك الى قوله تعالى « قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق » فهم يبيحون لانفسهم من ظلم العباد واحتقارهم لهم وسلب حقوقهم وغير ذلك ما يجعلونه ممنوعا على غيرهم وان كان ما يفعلونه ظلما وعدوانا ولم يبالوا كذلك بتبديل نعمة الله تعالى كفرا وجحودا كما قال عنهم القران الكريم « سل بني اسرائيل كم آتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جائته فان الله شديد العقاب » ومعنى ذلك أنهم بدلوا ما في كتبهم وجحدوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ وان كان منسحبا على كل من يبدل نعمة الله تعالى الا أنهم يعتبرون أئمة هذا النوع من البشر والعياذ بالله تعالى لانهم اسبق الناس الى مثل هذا التبديل وبذلك استحقوا العذاب الشديد في الدنيا والاخرة وشواهد التاريخ تصدق ذلك فانهم بعد أن فعلوا ذلك أنزل الله بهم ما أنزل من الخزي والهوان والذلة والمسكنة وضرب عليهم ذلك حيثما ثقفوا وأينما كانوا لان عادتهم لا تتغير سواء كانوا مبعثرين في الارض أو مجتمعين في بقعة من بقاعها .

وهذه العبارة الانفة الذكر « وان عدتم عدنا » تشكل في معناها كيفية الجزاء الذي يترتب على ما فعل الله بهم بسبب تكرار جرائمهم في الديار المقدسة مما يؤكد بأن تكرارهم لمثل هذه الجرائم سيظل مستمرا ما سمحت لهم بذلك الظروف وأما ما فعلوه في الارض المقدسة في هذه المرحلة من سفك للدماء وقتل للابرياء ، وهدم للمعالم الانسانية والدينية وحرق للمسجد الاقصى وتحويل الحرم الابراهيمي الى مكان للفسوق والعصيان وغير ذلك من

الجرائم التي لا تعد والتي تتجدد في كل وقت من حياتهم كل ذلك لا يقل حجما عن تلك الجرائم التي اقترفوها في عهد أنبيائهم عليهم السلام والتي استحقوا بسببها ما أنزل الله فيهم والمولى عز وجل قد توعدهم بأنهم ان عادوا الى مثل ذلك الافساد أنزل فيهم مقابل ذلـــك شديد العقاب وجعلهم عبرة بين العباد وما الله بغافل عما يفعلون حيث يقول في اية اخرى « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب»(٢٤) الاية والمعنى : أعلم أسلافهم أنهم ان غيروا ولم يؤمنوا بالنبي الامي بعث الله عليهم من يعذبهم وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم باقون الى يوم القيامة ومن خلال معنى هذه الاية الكريمة تلمـــح حقيقة هذه المرحلة بالذات وأنه لا مناص للامة الاسلامية مـــــن القيام بدورها التاريخي الكبير لان الاية تقول « الى يوم القيامة » وليس معنى ذلك أن الامر يؤخر حتى يجيء يوم القيامة لان ذلك مما يتعارض مع النصوص الكثيرة التي تنص على أن مدتهم في افسادهم قصيرة جدا وهذا مثل قولـــه صلى الله عليه وســـلم « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود »(٢٥) الحديث وهو مشهور اذ ليس معنى ذلك أن المسلمين سيقاتلونهم على حقهم قبل ذلك وذلك في وقت لا يجدون فيه ملجأ ولا ملاذا ولا وليا ولا نصيرا كما جاء في نفس الحديث « حتى يقول الشجر والحجر يـــا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله » الحديث بلفظه في صحيحي البخاري ومسلم وففيه « فيقتتلهم المسلمون » فاعلم ذلك وأعـــد نفسك واياك والشك فان كل ما هو ات ات وكل ما هو ات قريب قال تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » الاية في سورة الانفال وقال تعالى « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين » المـــائدة

---

(٢٤) الاعراف ايـــة ١٦٧

(٢٥) رواه البخاري ومسلم

الباب السادس

في ذكر العلامات الكبرى للساعة

اعلم أن أشراط الساعة الكبرى اتية لا محالة وهي ثابتة بنص الكتاب والسنة وهي العلامات التي ليس بعد الاخيرة منها الا قيام الساعة وهذه العلامات يأتي أولها بعد انتهاء العلامات الصغرى والوسطى وفي العلامات الصغرى كلام طويل الا انني قدمتها في هذا الكتاب بصورة مختصرة وأما العلامات الكبرى فسيكون الحديث عنها فيه شيء من الاسهاب حسبما يقتضيه المقام وبعد انتهاء الحديث عنها يجيء الحديث عما للكعبة من مكانة عظيمة وعن بعض مالها من الخصائص والاشراط الكبرى ليس لها زمن محدد يعرف منه متى تجيء وليس هناك تقدير زمني بين العلامة والاخرى الا انه جاء في الحديث الشريف قوله « كنظام انقطع سلكه فتتابع » وخلاصة القول أن الاشراط الكبرى تأتي مبتدأة بظهور المهدي فالدجال فنزول عيسى فخروج يأجوج ومأجوج الى اخره وأما أول وقتها فهي بلا شك يجيء بعد انتهاء الاشراط الصغرى والوسطى وأما كونها قريبة هي أم بعيدة ؟ فان علم ذلك عند الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما ولنبدأ بعون الله في الحديث عنها :

العلامة الاولى : ظهور المهدي وقد مر الحديث عنه مستوفى ومختصرا . فارجع اليه في مكانه من الكتاب .

العلامة الثانية : ظهور الدجال

اعلم ان القران الكريم لم يتعرض لذكر الدجال بالنص الصريح كيأجوج ومأجوج والدابة وغيرهما . الا أن ظهوره يدخل في معنى قوله تعالى « فقد جاء أشراطها » ولم يتعرض القران لتفصيل هذه الايات بصورة تشير الى تعدادها وأما السنة المطهرة فانها لم تترك صغيرة ولا كبيرة الا وبينتها بيانا كافيا وشافيا فما ثبت في السنة النبوية وجب الايمان به ولا يجوز رده أبدا ، وقد ورد ذكر

الدجال في عدة اخبار تناقلها العلماء من أول يوم حتى يومنا هذا فقد جاء في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا ، فقال « ما شأنكم » ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال :

«غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه . والله خليفتي على كل مسلم . انه شاب قطط[٢٦] عينه طافيه كأني أشبهه بعبدالعزى ابن قطن ، فمن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف . انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا » قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض . قال : أربعون يوما . يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا أقدروا له قدره قلنا يا رسول الله : وما اسراعه في الارض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى ، وأسبغه ضروعا ، وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيجعله جزلتين رمية الغرض . ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله تعالى المسيح بن مريم صلى الله عليه وسلم » . الحديث كما هو واضح . وفي الحديث المتفق عليه عن ربعي بن حراش قال : انطلقت مع ابي مسعود الانصاري الى حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم فقال له أبو مسعود . حدثني بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدجال قال : « ان الدجال

---

(٢٦) اي شديد جمودة الشعر .

يخرج وان معه ماء ونارا فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق واما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدركه منكم فليقع في الذي يراه نارا فانه عذب طيب فقال أبو مسعود وأنا قد سمعته .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من نبي الا وقد أنذر أمته الاعور الكذاب ، ألا انه أعور ، وان ربكم عز وجل ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك . أ . ف . ر . متفق عليه ، الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة .

وهو كما علمت مخلوق أمره عجيب وشأنه غريب تبتلى به العباد وتستجير من شره البلاد لم يترك بلدا الا ويدخله حاشا مكة والمدينة المنورة فانهما محرمتان عليه ومحروستان بحراسة الله تعالى ويحفظ المؤمنين من فتنته ولا يتبعه الا شرار الخلق ولكن الله تعالى يعجل بأخذه حيث يبعث اليه عيسى بن مريم فيقتله قرب باب لد في فلسطين .

وقد مر معنا أنه يظهر في اخر عهد المهدي عليه السلام وهناك أخبار تتعلق بالدجال والمكان الذي هو فيه وبعض العلامات التي تدل على قرب ظهوره وغير ذلك من أوصاف حماره تركتها روما للاختصار .

العلامة الثالثة : نزول عيسى عليه السلام .

ونزوله عليه السلام ثابت بنص الكتاب والسنة أما القران فلقوله تعالى « وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها » والمعنى نزوله عليه السلام علم للساعة أي من أشراطها الدالة على قرب ظهورها ولانه كما قال القران « بل رفعه الله اليه » — أي — أنه بعد لم يمت وانه لا يموت الا بعد نزوله ومكثه في الارض أربعون سنة وبعدها يقبض ويدفن على ما ذكر عند أخيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد أخبر عنه القران الكريم اذ يخبر عن موته بعد نزوله بقوله « والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » وأما ما جاء في قوله تعالى : « فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم

وأنت على كل شيء شهيد » فذلك لا يعني وفاته عند رفعه الى السماء والاحتجاج بهذه الاية غير جائز لان هذا الاستفهام يكون يوم القيامة حيث يقول له سبحانه وهو أعلم « أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك » الايات من سورة المائدة .

وفي قوله تعالى : « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » . دليل على أنه بعد حي لم يمت وأنه يموت مرة واحدة بعد انتهاء مدته في الارض وبعد نزوله كما تقدم .

تنبيه : في قوله تعالى « ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين » جاءت هذه الاية بعد الايات التي أخبرت عن عيسى عليه السلام حيث قال « وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها » حتى لا يكون في نفوس أهل العقيدة شك في نزوله والشك ليس من لوازم العقيدة فان نزوله يقيني والشك يرتفع باليقين واليقين من الايمان والشك من الكفر والنفاق والفرق واضح — اذن — فنزوله أمر يقيني بالنسبة لمقتضيات الايمان فمن كذب أو شك فيه الى حد يخل بمعنى الحق فقد كفر والعياذ بالله ، فليتدبر .

وأما السنة : فقد تحدثت عن نزول عيسى عليه السلام في أكثر من حديث ففي صحيح مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد » وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف انتم اذا نزل بن مريم فيكم وامامكم منكم ؟ »

واخرج بن ماجة في سننه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة أسرى بي لقيت ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة فبدءوا بابراهيم

عليه السلام فسألوه عنها، فلم يكن عنده منها علم،ثم سألوا موسى عليه السلام فلم يكن عنده منها علم فرد الحديث الى عيسى بن مريم عليه السلام فقال « انه عهد الي فيما دون وجبتها[٢٧] فأما وجبتها فلا يعلمها الا الله عز وجل ثم ذكر — أي — عيسى عليه السلام فقال : فأنزل فأقتله ، وفي صحيح مسلم فبينما هو يعني المسيح الدجال اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروردتين[٢٨] واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كالؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه في باب لد فيقتله » الحديث بطوله في رياض الصالحين وغيره وذكر الثعلبي والزمخشري وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء على ثنية من الارض المقدسة يقال لها «أفيق» بين ممصرين ، وشعر رأسه دهين وبيده حربة يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر وامامهم يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلي الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من أمن به » وروى خالد عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسل « الانبياء » اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانا أولى الناس بعيسى بن مريم انه ليس بيني وبينه نبي وانه أول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل على الاسلام » .

تنبيه : لو لم يكن في الادلة الصريحة التي تدل على نزوله عليه السلام الا قوله تعالى مخبرا عنه : « والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » لكفى وهذه الامور الثلاثة لها ثلاثة أيام مضى منها يوم واحد وهو اليوم الذي ولد فيه وبقى اثنان

---

(٢٧) وجبتها — اي — هدتها يعني صوتها الهائل وهو عبارة عن صوت الصور
(٢٨) اي شقتين او حلتين

وهما يوم موته وهو اليوم الذي يموت فيه بعد نزوله والثالث يوم بعثه وهذا من الادلة الواضحة التي تقرر نزولـــه فسبحان الله العليم الخبير .

العلامة الرابعـــة : خروج يأجوج ومأجوج

وقد ذكرهم القران الكريم في ايتين الاولى في سورة الكهــف في سياق الحديث عن ذى القرنين فقال على لسان من شكا اليه فسادهم في الارض « ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفســدون في الارض » والثانية في قوله تعالى في سورة الانبياء « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » وأما السنة المطهرة ، فقد جاء الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عـــن النواس بن سمعان والذي يتناول فيه ذكر الدجال ونزول عيسى وقتله الدجال كما تقدم ، يقول فيه عليه الصلاة والسلام عنـــد الحديث عن يأجوج ومأجوج .

« فبينما هو كذلك ــ أي ــ عيسى عليه السلام ــ اذ أوحى الله الى عيسى صلى الله عليه وسلم اني قد أخرجت عبادا لــي لا يد لاحد بقتالهم فحرز عباده الى الطور «أي في جبال فلسطين» ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر أواخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابــه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليــوم فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ــ اي ــ يموتــون دفعـــة واحدة ثــم يهبط نبي اللـــه عيســى صــلى اللـــه عليـــه وســلم وأصـــحابه رضـــي الله عنهم الى الارض فلا يجدون فيها موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى صلى االله عليه وسلم واصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى طيرا كاعناق البخت فتحملهـــم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل عز وجل مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلقة ثم يقال للارض

(٢٩) اللبـــن

انبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الابل لتكفي الفئة[٣٠] من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[٣١] من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة » رواه مسلم .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال عليه الصلاة والسلام « يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة الف أمة لا يعلم عددها الا الله لايموت الرجل منهم حتى يولد له ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح » قيل يا رسول الله صفهم لنا قال : « هم ثلاثة أصناف » صنف منهم أمثال الارز شجر طول الشجرة عشرون ومائة ذراع وصنف سواء نحوا من الذراع وصنف يفترش أذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ويأكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار الشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة المنورة وبيت المقدس .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يأجوج ومأجوج من نسل « يافث بن نوح » عليه السلام وهم والترك والصقالبه من نسله .

واعلم أنه قد وردت في أوصافهم وأرزاقهم وأحوالهم أقوال كثيرة أعرضت عن ذكرها لعدم مطابقة بعضها لبعض ، ولان الذي يهمنا خروجهم اخر الزمان كونه من أشراط الساعة الكبرى وليس أوصافهم الخ ثم اعلم أن بلادهم ليست معروفة بالضبط لاهل الارض وأن وجودهم في طي علم الله تعالى ، واما بالنسبة لقصة ذى القرنين فانها واضحة الا أن القران الكريم لم يحدد مكان السدين

(٣٠) الجماعة
(٣١) الفخذ من الناس دون القبيلة

اللذين بلغهما وأن مهمته كانت محصورة في سد مخرجهم عن اولئك الذين شكوا منهم ، وهذا المخرج قد يكون بعيدا عن مكانهم لانه — أي — ذو القرنين لم يشاهدهم اذ لو كانوا على مقربة منه لشاهدهم وربما وجد منهم مقاومة ويرد علم ذلك الى الله تعالى وعليه فانه من الممكن معرفة السد الذي بناه ذو القرنين أما رؤيتهم ومعرفة بلادهم على وجه التحديد فهو بعيد الاحتمال .

تنبيه : بعض الناس يتوهمون بأن الصينيين هم يأجوج ومأجوج لكثرتهم ومشابهتهم لهم في بعض أوصافهم الى جانبهم كذلك الترك وهذا التوهم باطل لا أساس له من الصحة لعدم وجود الادلة على صحة ذلك لان الادلة ذهبت الا انهم لا يستطيعون الخروج الى ماوراء حدودهم الا اذا جاء وعد الله تعالى — أي أمره — كما قال القران على لسان ذي القرنين « فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا » ويؤكد ذلك قوله تعالى في سورة الانبياء « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » فهم ممنوعون من الخروج حتى يأتي يوم خروجهم في زمن عيسى عليه السلام .

تساؤل : قد يقول قائل : لو كان يأجوج ومأجوج موجودين لاكتشفهم العلم الحديث لانه لم يبق هنالك شيء خاف ؟ والجواب على ذلك والله أعلم أن وجودهم يدخل تحت حكم الغيب الالهي كالجن والملائكة الذين هم موجودون ولا نعرف مكانهم وهم أكثر من يأجوج ومأجوج أضعافا مضاعفة والله على كل شيء قدير ثم أين يكون الليل عند مجيء النهار والليل في نفس الوقت موجود ؟

العلامة الخامسة : خروج الدابة

قال تعالى « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بأياتنا لا يوقنون »(٣٢)

والمعنى اذا وجب الغضب عليهم وقيل : حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون وقيل : اذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر

---

(٣٢) النمل اية ٨٢

وجب السخط عليهم وقال عبد الله بن مسعود : وقع القول عليهم يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن يعني في اخــر الزمان قال عبد الله يسري عليه ليلا فيصبحون منه قفرا وينسون « لا اله الا الله » ويقعون في قول الجاهلية وأشعارها وذلك حين يقع القول عليهم وجميع هذه الاقوال ترجع الى معنى واحد وهو الشر وشيوع الفساد وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانهـــا خيرا : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض » .

وقد اختلف في تعيين هذه الدابة وصفتها ومكان خروجها فقد ذكر أبو داوود الطيالسي في مسنده عن حذيفة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة : فقال « لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية ــ يعني مكة ــ ثم تكمن زمنا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما الناس في اعظم المساجد على الله حرمـــة ، وخيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنهـــا شتى ومعا وثبتت عصابة من المؤمنين وعلموا أنهم لن يعجزوا الله قبل أن تهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجـــل ليتعوذ منها في الصلاة فتأتيه من خلفه فتقول له يا فلان الان تصلي فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الاموال ويصطلحون في الامصار يعرف المؤمن من الكافر حتى أن المؤمـــن يقول يا كافر اقض حقي »

وقوله تعالى « تكلمهم » ــ أي ــ ببطلان جميع الشرائع ما عدا شريعة الاسلام وفي قراءة « ابي » « تنبئهم » وقيل تكلمهـــم بما يسؤوهم وقيل تكلمهم بلسان ذلق فتقول بلسان يسمعه من قرب ومن بعد « ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون » ــ أي ــ

بخروجي لان خروجي من الايمان وتقول «ألا لعنة الله على الظالمين» وقرأ جماعه منهم ابن عباس « تكلمهم » بفتح التاء وهو من الكلم — أي — الجرح قال عكرمة — أي — تسمهم وقال ابو الجوزاء سألت ابن عباس عن هذه الاية تكلمهم أو — أي — تكلمهم — فقال هي والله تكلمهم وتكلمهم تكلم المؤمن وتكلم الكافر والفاجر — أي تجرحه وقيل تكلمهم «تجرحهم» يذهب الى أنه تكثير من « تكلمهم » « أن الناس كانوا باياتنا لا يوقنون » بفتح الهمزه كما هو في المصحف وفي قرأة بكسرها قال بعض العلماء في كل من الفتح والكسر قولان والمعنى تخبرهم « ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون » — اي — لا يؤمنون بالقران ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك حين لا يقبل الله من كافر ايمانا وعندها يتميز المؤمن من الكافر فيعرف المؤمن بسيما الايمان والكافر بسيما الكفر لانها تسم كل واحد بسيماه الكفر والايمان وأما أوصافها فقيل بأنها « فصيل ناقة صالح عليه السلام » واستدل من قال ذلك بقوله في الحديث الشريف «ترغو» حيث أن الرغاء من أوصاف الابل وقد قيل انه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فيه ثم انطبق عليه فهو فيه حتى يخرج باذن الله تعالى هذا قول .

والقول الثاني : فقد روى أنها ذات زغب — اي — مزغبة شعراء — أي — ذات شعر ولها قوائم يصل طولها الى ستين ذراعا وهو قول عبد الله بن عمر .

والقول الثالث : أنها على صورة الادميين وهي في السحاب وقوائمها في الارض .

والقول الرابع : أنها جمعت من خلق كل حيوان وجعلوا لكل جزء منها وصفا خاصا وذكروا : أن بين كل مفصل ومفصل اثني عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام وهذا الوصف قد لا ينطبق عليها لاحتمال أنها تكون على غيره كما هو مذكور في أقوال العلماء فانهم قد أطلقوا عليها أوصافا كثيرة والواجب على المؤمن الايمان بها ايمانا لامرية فيه دون التعرض الى معرفة أوصافها لان ذلك غير معروف لعدم وجود الادلة أما ان صح القول بأنها « فصيل

ناقة صالح » عليه السلام فوصف الفصيل معروف وأما ان كانت غيره فالاولى الكف عن البحث عن أوصافها وفي بعض الاخبار عن المهدوي أنها ذات ريش ووبر .

وأما المكان الذي تخرج منه فمختلف فيه كذلك ففي الخبر « أنها تخرج من الصفا » وقيل انها تخرج من بين «الركن» حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد وعن قتادة انها تخرج في « تهامه » وروى أنها تخرج من مسجد الكوفة حيث فار التنور بالماء في طوفان نوح عليه السلام وقيل تخرج من الطائف وقيل من صخرة من شعب «أجياد» وقيل من بحر سدوم وقيل من صدع في الكعبة كجرى الفرس ثلاثة أيام لا يخرج ثلثها .

والمهم الايمان بخروجها ولا يضر عدم معرفة ما اختلف فيه .

العلامة السادسة : طلوع الشمس من مغربها

قال تعالى : « هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض ايات ربك يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا ، قل انتظروا انا منتظرون »[٣٣] والمراد من قوله تعالى « يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا » أنهم يمهلون حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت فلا ايمان وهو خاص بالكفار وليس بالمؤمنين العصاة مثلا فانهم مؤمنون قبل طلوعها واحتمال قبول توبتهم اكد لان باب التوبة يغلق عن قبول الايمان من الكفار لا عن قبول توبة المؤمن الا أن اكتساب الخير بعد قبول التوبة غير محتمل اذ الامر يكون مقصورا على قبول التوبة من المؤمن العاصي دون كسب الخير بعد ذلك .

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها والدجال ، ودابة الارض »[٣٤] وعن صفوان

---

(٣٣) الانعام اية ١٥٨

(٣٤) رواه مسلم

بن عسال المرادي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه »(٣٥)

وروى ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول « أيها الناس ان الرجم حق فلا تخدعن عنه وان اية ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم وان أبا بكر قد رجم وأنا قد رجمت بعدهما وسيكون قوم من هذه الامة يكذبون بالرجم ويكذبون بالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا »(٣٦) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون اين تذهب هذه ؟ قلت لا : الله ورسوله أعلم ؟ قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يقبل لها فيقول لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فعند ذلك يغلق باب التوبة »(٣٧)

واعلم ان الليلة التي تطلع في صبيحتها الشمس من المغرب تطول حتى تكون مقدار ثلاث ليال فيفزع الناس لذلك فيصبحون فاذا بها تطلع من المغرب فاذا راها الناس امنوا أجمعون وذلك حين « لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا » ويستثنى من ذلك المؤمنون بصورة عامة فان توبتهم مرجوة القبول لكونهم مؤمنين قبل طلوعها من مغربها .

العلامة السابعة : الدخان

وهو دخان يملا الارض ويصيب الكافر والمؤمن . أما الكافر فيخرج من أنفه وعينيه وأذنه ودبره ، وأما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وهو ثابت بنص القران والسنة اما القران فقد قال الله تعالى « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس

---

(٣٥) رواه الدار قطني والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
(٣٦) امتحشوا اي احترقوا ذكره ابو عمر
(٣٧) رواه الشيخان وغيرهما

هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون »(٣٨)

وفي الحديث الشريف عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الساعة لا تكون حتى تكون عشر ايات ، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الارض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس » — اي — الى أرض المحشر وفي رواية الثعلبي عن حذيفة قال : قلت يا رسول الله وما الدخان فقال هذه الاية « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » يملا بين المشرق والمغرب الحديث ولا يجوز صرف ذلك الى ما حدث مع قريش بسبب القحط الذي أصابهم لما دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « اللهم اعني على قريش بسنين كسني يوسف عليه السلام » وكان الرجل منهم يرى ما بينه وبين السماء ما يشبه الدخان من شدة الجوع وذلك لان تلك الحادثة خاصة بقريش وأما الدخان المذكور في الاية الكريمة فانه هو المراد من كونه علامة من علامات الساعة الكبرى لان ظهوره مطابق لمعنى الاية الكريمة « يغشى الناس » — أي — جميعهم كما مر ولا يستثنى منهم احد الا انه يكون عذابا للكافرين ورحمة للمؤمنين كما أشرنا .

وفي الحديث الشريف عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : اطلع علينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال : ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال : انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوفات خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم »(٣٩)

---

(٣٨) الدخان اية ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥

(٣٩) اخرجه مسلم

وذكروا أن هذا الدخان من اثار جهنم يوم القيامة ــ اي ــ عند قيامها يصيب المؤمن كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه ، اعاذنا الله منه .

تنبيه ــ ان ما ظهر من اثار اختراعات الانسان في هذا العصر من قنابل مختلفة الانواع ونفاثات كذلك تبعث الدخان في جو السماء الى غير ذلك مما هو معلوم فيما لو استعملت هذه الوسائل الكثيرة في ان واحد لامتلات الدنيا فعلا من الدخان المضر المؤذي لما يحتوى عليه من مواد مضرة بالكائنات الحية على اختلاف أنواعها فانه لا يمكننا أن نطلق معنى الاية الكريمة عليه لانه يصيب المؤمن والكافر باضرار على حد سواء ولانه يمكن التحرز منه بشتى الوسائل والحيلولة دونه ودون اذاه اما الدخان المعدود من علامات الساعة فهو ما تقدم ذكره وبما أنه يكون علامة من علامات قيام الساعة فان هذا الدخان المصطنع علامة كذلك من العلامات الصغرى لقيام الساعة وهي الحرب العالمية المدمرة ولا يجوز أن يقال : بأنه هو المراد من معنى الاية »(٤٠)

العلامة التاسعة : نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى محشرهم

تقدم ذكرها في الحديث المروي عن حذيفة الشامل للعشر ايات التي تكون قبل قيام الساعة حيث جاء فيه « ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس » ــ اي ــ الى أرض المحشر .

وفي الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستخرج نار من حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس ، قالوا يا رسول الله فما تامرنا ؟ قال عليكم بالشام »(٤١)

وهذه النار غير النار التي خرجت في الحجاز سنة أربع وخمسين وستمائة والتي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه

---

(٤٠) كتبه مؤلفه والله أعلم
(٤١) رواه أحمد

وسلم بقوله « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل »[٤٢] وقد خرجت فعلا في تلك السنة وشوهدت من مسافات بعيدة حتى أن الكاتب كتب على ضوئها من تيماء وهي على مسافة اربعمائة كيلو مترا من المدينة المنورة وكان خروجها من شرقي المدينة على مسافة نصف يوم من المدينة المنورة وقد انفجرت من الارض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد وذكر أنه تقدمها صوت كالرعد البعيد تارة وتارة كالزلزلة وأقام الصوت على تلك الحالة يومين فلما كانت ليلة الاربعاء ثالث الشهر مستهل جمادي الاخرة تعقب الصوت الذي كان يسمع زلازل فلما كان يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة قدرها كمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي برأى العين من المدينة وقد سال منها واد مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الارض وتخرج منها أمهاد وجبال صغار وتسير على وجه الارض وهو صخر يذوب حتى يكون مثل الانك فاذا جمد صار أسود وقبل الجمود لونه أحمر وقد ذكر أنها سبقتها زلزلة عظيمة اضطرب لها منبر المسجد واضطربت قناديل الحرم الشريف وتمت الزلزلة الى يوم الجمعة ضحى ولها دوي مثل دوي الرعد القاصف ثم طلعت يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس أجيلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وقد أشفق الناس منها والتجؤا الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهروا الضراعة وتابوا الى الله تعالى توبة صادقة ولهذه النار اخبار عجيبة رهيبة تركنا ذكرها روما للاختصار وقد ذكر : أن الشمس والقمر وقت خروجها لم يطلعا الا كاسفين .

ومما يدل على أنها غير النار التي تخرج اخر الزمان انها لم تسق الناس الى أي مكان ولم تقربهم ولم تؤذهم الا ما كان من الخوف والرعب والاشفاق منها ولا شك بأن خروجها من علامات الساعة الصغرى كما نطق بذلك الحديث الشريف .

---

(٤٢) روى في الصحيحين عن أبي هريرة

وأما النار التي تخرج اخر الزمان فانها من ضمن الايات العشر التي نحن بصدد الحديث عنها وانها كما ذكر : تخرج من قعر عدن وليس من الحجاز وانها تسوق الناس الى ارض المحشر وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها .

العلامة العاشرة

وهي رفع القران والعلوم النافعة من الصدور والسطور ويومئذ يغيب الايمان ويظهر الكفر ويعم الناس بسبب ذلك لما جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه ابن ماجة بسند قوي عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسري على الكتاب في ليلة فلا تبقى في الارض منه اية » اورده ابن حجر في فتح الباري وعندئذ لا يبقى الا شرار الخلق الذين عليهم تقوم الساعة وبعد ذلك تأتي اخر علامة وهي :

هدم الكعبة زادها الله شرفا وتعظيما وصانها وحرسها ورد عنها كيد أعدائه في كل زمان انه نعم المولى ونعم النصير . ولما كانت الكعبة شرفها الله اول بيت وضع للناس ولما لها من مكانة سامية عليا في التاريخ العالمي على مر العصور من لدن ادم عليه السلام الى يومنا هذا الى اخر تعمير البشر في هذه الارض احببت أن اقف عند ذكر هذا البيت العظيم لاقدم للاخوة القراء بل وللعالم أجمع بعض ما للكعبة من خصائص ومزايا كريمة وحرمة ومكانة وقدر ورفعة وواجب لان ذلك مما يبهج النفس ويكشف عنها ما يغشاها من هموم بسبب ما تعرضت له في بعض الادوار التاريخية كما سمعنا فأقول وبالله التوفيق :

الباب السابع

في ذكر الكعبة وما لها من خصائص ومزايا

اعلم وفقني الله واياك لطاعته ان القران الكريم ذكر الكعبة المشرفة فيكثير منالايات الكريمة ويأتي الحديث عنها فيسياقالاجلال والتكريم وعلو القدر ومنتهى التشريف .. فهو يقدم تاريخ وضعها وتأسيسها وتكوينها على جميع الاماكن العمرانية فيقول جل جلاله « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات بينات »(٤٣) .

فأنت ترى ان الحق جل وعلا أعطاها مزايا وخصائص لا تنطبق على غيرها أبدا منها أنها أول بيت وضع للناس وذلك ليحج اليه من جميع أنحاء العالم السفلي وأما العالم العلوي فقد سبق العالم السفلي في حجه بألفي عام كما ورد في الحديث الشريف ومنها أنه سماها «مكة» لانها محل ازدحام الناس في الحج والعمرة ومحل العبادة وأداء النسك الخاص بهذه العبادة ولان بكة مشتق من البك وهو الازدحام يقال تباك القوم — أي — ازدحموا وقيل سميت بذلك لانها تدق أعناق الظلمة والملحدين والجبابرة اذا الحدوا فيها بظلم كما قال تعالى « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » «ومكة» اسم لسائر البلد الحرام وسميت «مكة» لانها تمك المخ من العظم مما ينال قاصدها من المشقة بسبب المشي اليها وهو مأخوذ من قولهم « مككت العظم » — أي — اذا أخرجت ما فيه ويقال مك الفصيل ضرع أمه وامتكه اذا امتص كل ما فيه من اللبن وقيل سميت بذلك لانها تمك من ظلم فيها — اي — تهلكه وتنقصه وكذلك من قصدها بسوء أو بيت لها نية خبيثة والعياذ بالله . واما تاريخ وضعه للناس فقد ذهبت الاخبار الى أن الله تعالى أول ما خلق البيت العتيق بعد العرش و قد كان العرش على الماء كما جاء في سورة هود فعن عبد الله بن بشر الزهري

---

(٤٣) ال عمران اية ٩٥ ، ٩٦

يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وجد في البيت ثلاث أصفح » .

الاول : اني أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحفتتها بسبعة أملاك حنفاء وباركت لاهلها في اللحم واللبن .

الثاني : اني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته .

الثالث : اني أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر وقدرته فطوبى لمن أجريت الخير على يديه ، وويل لمن أجريت الشر على يديه .
فانظر قوله عليه الصلاة والسلام « صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر » وفي ذلك دليل على قدم وضعه كما أشرنا .

وقد وردت كذلك أقوال للعلماء والمفسرين مما يقوى هذا الخبر وان كان ذلك محلا للخلاف ، والاختلاف في ذلك لا يعني نفي قدم وضعه .

وقال الربيع أنبأنا الشافعي رحمه الله قال أنبأنا أبو سفيان عن أبي لبيد عن محمد بن كعب القرطبي او غيره قال : حج ادم فلقيته الملائكة فقالوا « برنسكك يا ادم لقد حججنا قبلك بألفي عام » يعني المسجد الحرام وروي عن عروة بن الزبير أنه قال « ما من نبي الا وقد حج البيت الحرام الا ما كان من هود وصالح عليهما السلام والصحيح أنهما ممن حج البيت كغيرهما من الانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .

وذكر القرطبي في تفسيره نقلا عن جعفر بن محمد قال : سئل أبي وكنت حاضرا عن بدء خلق البيت فقال « ان الله عز وجل لما قال : للملائكة « اني جاعل في الارض خليفة » قالت الملائكة « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » غضب الله تعالى فعاذوا بعرشه وطافوا سبعة اطواف يسترضون ربهم حتى رضي عنهم فقال لهم « ابنوا لي بيتا في الارض يتعوذ به من سخطت عليه من بني ادم ويطوف

حوله كما طفتم حول عرشي فأرضى عنه كما رضيت عنكم ، فبنوا هذا البيت » ــ اي ــ البيت العتيق .

وروى ابن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم قـــال : « دحيت الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى وهو في غايـــة الوضوح لان هذا الاسم يطلق على الاصل كما هو معلوم .

ومنها : قوله تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا » والمعنى جعلناه مرجعا : وهو مأخوذ من ثاب يثوب مثابا ومثابة وثوبا وتوبانا فالمثابة مصدر وصف به ويراد به الموضع الذي يثاب اليه ــ اي ــ يرجع اليه وقرا «الاعمش» «مثابات» على الجمع ويحتمل أنه من «الثواب» ــ أي ــ يثابون هناك فان العامل كلما طلب الاجر رجع الى المكان الذي يناله منه كيف والصلاة فيـــه بمائة ألف وهو لذلك مهوى أفئدة المؤمنين في جميع بقاع الارض وكل قلب لا يهوى زيارته ومشاهدته والعبادة فيه واداء النســك وغيره من جميع أنواع العبادات فهو ليس بقلب مؤمن كامـــل الايمان . واما قوله تعالى «وامنا» هو مثل قوله تعالى «ومن دخله كان امنا» وبذلك استدل ابو حنيفة وجماعة من الفقهاء الامصار على ترك اقامة الحد فيه على المحصن وغيره اذا لجأ اليه وعضد ذلك بقوله تعالى « ومن دخله كان امنا » والصحيح اقامة الحدود فيه وأن منع اقامة الحدود فيه منسوخ لان الاتفاق حاصل على أنه « لا يقتل داخل البيت ويقتل خارجه » وهذا مما لا خلاف فيـــه. لان الخلاف حول مسئلة « يقتل في الحرم أم لا » ؟ لان الحرم لا يقع اسم البيت عليه كما هو واضح وقد أجمعوا على أنه من قتل في الحرم يقتل فيه ، ومن أتى حدا اقيد منه فيه وان حارب فيـــه حورب وقتل مكانه وأما رأي أبي حنيفة : فمن لجأ اليه لقصـــد القتال حوصر فيه وضيق عليه حتى يستسلم أو يهلك مكانه فهـــو يقتل بشدة الحصار حتى يموت أو يخرج مستسلما وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتل النفر الذين ارتدوا وكفروا بعد اسلامهم وتجاهروا بهجاء الرسول والاسلام اذ قال « اقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين باستار الكعبة » وذلك مما يرجح القـــول

الاول القائل بخلاف ما قال أبو حنيفة وهو الاصح لان اقامة الحدود خارجه وفي اي مكان يعتبر نصرا للحق ودحضا للباطل ورفعا لعلم «الاسلام» وكبتا لاعدائه ولان حرمة حدود الله كحرمة غيرها من الحرم .

ومنها : قوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم »(٤٤) . «جعل» بمعنى خلق مما يدلك على عظيم فضلها ورفيع قدرها وعظم شرفها وكأنها وجنة عدن في هذا «الجعل» سواء وقد سميت الكعبة لنتوئها وبروزها والمراد من ذلك ظهورها في الارض — اي — ظهور شرفها وقدرها ومكانتها ثم انظر كيف سماها الله تعالى في هذه الاية باسمين كريمين « الكعبة البيت الحرام » والحرام نعت وليس مضافا اذ لو كان مضافا لما تبع ما قبله في نصبه وقد جاءت معرفة بأل التعريف لكون قدرها وشرفها ومكانتها معروفا عند الخلائق ولكون هذه المعرفة ظاهرة كظهور الشمس والقمر ومعنى قوله تعالى «قياما للناس» — اي — صلاحا ومعاشا لامن الناس وعلى هذا يكون «قياما» بمعنى يقومون بها فانظر كيف قال بها ولم يقل فيها ليدل ذلك على أنه يقوي ايمان الناس زيارتها والتعبد فيها فتزداد قوتهم بذلك فيستطيعون القيام بمهام الامور الدينية والدنيوية والاخروية وقيل «قياما» — أي — يقومون بشرائعها والمراد الشرائع السماوية الى أن جاءت الشريعة الاسلامية الناسخة لما قبلها من الشرائع حيث جاء ظهور صاحب الشريعة الاسلامية من مكة المكرمة وبدأ القيام بشريعة الاسلام من مكة كما هو معلوم .

ثم انظر كيف عطف المولى عز وجل «الشهر الحرام» على «الكعبة البيت الحرام» فقال سبحانه «والشهر الحرام» وذلك لبيان اتحاد الحكم في الحرمة العظيمة وانها بمنزلة واحدة والمراد من قوله تعالى «والشهر الحرام» الاشهر الثلاثة وهي ذو القعدة

(٤٤) المائدة اية ٩٧

ذو الحجة والمحرم وينضم اليها في هذه الحرمة شهر رجب لقوله تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم » .

الاية وهذا مما يزيدك ايضاحا على قدم وضع البيت الحرام حيث جاء ذكره قبل ذكر الاشهر الاثني عشر وكما هو واضح من قوله تعالى « يوم خلق السموات والارض » ان الزمن من ذلك الحين نشأ عن حركات الفلك والاشارة واضحة في قوله تعالى « والشهر الحرام » حيث جاء معطوفا على ذكر الكعبة مع ان الفعل واحد وهو «جعل» وهي اشارة بديعة في هذا المعنى .

وكان العرب قبل الاسلام لا يروعون سربا — أي — نفسا في هذه الاشهر الحرم ولا يطلبون فيها دما ولا يتوقعون منها ثارا حتى كان الرجل يلقى قاتل ابيه أو أخيه أو ما يخصه فلا يؤذيه واقتطعوا فيها ثلث الزمان ووصلوا منها ثلاثة متوالية فسحة وراحة ومجالا للامن والتنقل وغير ذلك وجعلوا منها واحدا في نصف العام دركا للاحترام ووصلا لمقتضى الالتزام وهو شهر «رجب الاصم» وانما سمي بذلك لانه كان لا يسمع فيه صوت الحديد ويسمى «منصل الاسنة» لانهم كانوا ينزعون فيه الاسنة من الرماح وهو شهر قريش فسماه النبي صلى الله عليه وسلم «شهر الله» — اي — «شهر آل الله» وكان يقال لاهل الحرم «آل الله» ثم يسر لهم الالهام وشرع لهم على السنة الرسل الكرام «الهدى والقلائد» وهي خاصة بالانعام التي كانوا يسوقونها الى البيت الحرام ليعرفها الناس أنها له فلا تمد لها يد فقد وصل الامر الى أن أحدهم كان يقلد نفسه كذلك ليعرف وبالله التوفيق .

ومنها : أن الله تعالى جعلها قبلة للمسلمين في صلاتهم اينما كانوا وحيثما وجدوا فلا تصلح صلاة الا بالتوجه اليها يقينا في القرب وظنا في البعد سواء كانت الصلاة فرضا أو نفلا حضرا أو سفرا الا في الاحوال النادرة التي يتعذر فيها استقبال القبلة والسير في طريق مخوف في السفر ونحو ذلك كما هو مفصل في كتب الفقه .

وحادثة تحويل القبلة الى الكعبة بعد توجه المسلمين الى بيت المقدس في الصلاة يؤمهم النبي صلى الله عليه وسلم مدة سبعة عشر شهرا حادثة ذات شأن عظيم يتناسب مع قدر شأن المسجدين الكريمين ، يتجلى في صورتها معنى الهدي الشامل الكامل العام القديم والحديث وينفي عن الاوهام معاني العنصرية والاستئثار بالفضائل الدينية واثبات المبدأ القائم على أساس التعاليم السماوية ليفهم خصوم الاسلام أن الاسلام بريء من كل شبهة تدور حوله أبدا وأنه دين الزمان والمكان الشامل الكامل الذي يعطي كل ذي حق حقه دون غمط أو اجحاف والله سبحانه وتعالى قادر على أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم لكونه أفضل الانبياء ببناء بيت في أي مكان شاء ويتوجه بصلاته اليه ويجعله قبلة للمسلمين بدلا من البيت الحرام لكن الامر كما هو واضح ليكون ذلك حجة على أصحاب العقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة وليعلم أهل الاهواء أن الاسلام انما جاء بكل مافي الوحدة الدينية من توافق واتحاد وائتلاف وأن الدين كله لله وحده وأن الله تعالى انما خلق الخلق ليتفقوا على مبدأ التوحيد لا لان يختلفوا والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

واعلم أن تحويل القبلة من الاحداث الكبيرة التي برهنت تماما على اظهار عناد المتربصين بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم الجديدة والتي أحدثت تغييرا في المفاهيم والعقائد والمنهج والسلوك والاخلاق ولقد كانت الاغلبية الكبيرة قبل انتشار الاسلام وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم مناوئة للاسلام تتربص به الدوائر وتكيد له في الخفاء وتحرض عليه في السر والعلانية وتستخدم في ذلك شتى الاساليب بين الفينة والفينة وتحاول أن تجد الثغرة الملائمة للنفوذ منها الى أفكار المسلمين غير أنها باءت بالفشل وذهبت محاولاتها هباء منثورا ولم يكتب لها أي نجاح في شيء أبدا لان القران الكريم لهم بالمرصاد حيث ظل يكشف عن نواياهم وعن ما كانت تنطوي عليه نفوسهم الخبيثة من مكر ونفاق وخداع وتضليل وان قوما مثل أولئك القوم غلبت عليهم اثرة الجاهلية العمياء والعنصرية الشلاء حيث انطبعت نفوسهم على

حب الجهل والاهواء لا جرم أنهم سيقفون من الدعوة المحمدية الجديدة موقف العداء لكن عداؤهم لم يزدهم الا ذلة وهوانا وخسرانا وهم مع ذلك لكل ما جاء به الاسلام كارهون « والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون » وتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين الى بيت المقدس كان اجتهادا منه(٤٥) صلى الله عليه وسلم واجتهاده في مثل هذه الحالة تشريع يجب الاخذ به ومع ذلك كان عليه الصلاة والسلام يقلب وجهه الشريف في السماء وكأنه ينتظر أمرا جديدا حتى جاء الامر الرباني بالتوجه الى الكعبة في قوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » واذا كان الامر يتعلق بارتضاء الله تعالى لرسوله والمؤمنين الى يوم القيامة فما الذي دعا أولئك المتجنين على الاسلام أن يختلقوا الاقاويل وأن يفتروا الاكاذيب ظلما وبهتانا وهم مدعوون قبل ذلك للاستجابة الى ما جاء به صاحب الدعوة الاسلامية ؟ ولكنهم لم يستجيبوا كما استجاب أولوا الالباب والله سبحانه وتعالى حكم عدل فقد وصفهم بأنهم سفهاء من حثالة البشر الذين لا يفقهون عن الحق شيئا قال تعالى « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » وقد اراد الله ان يهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى الصراط المستقيم حين اختار لهم الكعبة قبلة لهم في صلاتهم ولم يجعل قبلتهم الى المشرق ولا الى المغرب . كأهل الكتاب بل الى منتصف الارض وذلك مما يمكن التوجه الى هذه القبلة من أقاصي المعمورة وأدانيها على حد سواء وليظهر المسلمون في هذا التوجه كشبه سور دائر حول الكعبة ليس فيه ثلمة ولا ثغرة ولا يضعف على مر الزمان ما دام وجود الامة الاسلامية قائما على حقيقته والى يوم القيامة ولان البيت المعمور محاذيا لهذه القبلة حيث تعمره الملائكة في كل يوم كذلك الكعبة يعمرها

(٤٥) اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم . لا يخالف وحي السماء . ولذلك اشار القرآن الكريم الى صحته بقوله « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها » الاية

المسلمون في الارض في كل يوم وليلة فما دام البيت المعمور معمورا بالملائكة كذلك الكعبة المشرفة ستظل دائما وابدا معمورة بالمسلمين حتى قيام الساعة وقد سمى الله سبحانه وتعالى هذا التوجه صراط مستقيما وهدى الى هذا الصراط خير أمة أخرجت للناس فهو أعلم بهذا الاختيار فليكف السفهاء اذن عن سفاهتهم ولينتهوا عن غيهم وجهالتهم وتماديهم وما هم فيه من غباء وغرور « وماذا عليهم لو امنوا بالله ورسوله واقاموا الصلاة » الى اخر الاية أليس الحق أحق أن يتبع والحق اذا نطق فعلى الباطل أن يسكت ويذعن وينتهي والله تعالى له الامر من قبل ومن بعد وهو بكل شيء عليم « لكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا » ثم انظر الى مدى قوة ارتباط الصلة بين الله ورسوله والمؤمنين انها تزداد من قبل المؤمنين توثيقا ومتانة وقوة في الارتباط وثباتا على الحق واستبشارا بنجاح العاقبة والفوز العظيم .

لما حولت القبلة خشي المؤمنون على ثواب عبادتهم قرابة العام والنصف الا ان العليم بما في الضمائر وما تنطوي عليه السرائر أخبرهم وطمأنهم وبشرهم بأنه ضامن أبدا لثوابهم فقال تعالى « وما كان الله ليضيع ايمانكم » ــ أي ــ صلاتكم وانظر كيف أن الله سبحانه سمى الصلاة ايمانا لان ذلك ادعى للطمأنينة والارتياح حيث أن الصلاة في ظاهرها قد يعلق بها شيء من الغبار وان كان الحق جل وعلا جعلها صلة بين العباد وربهم ولكن هذه الصلة لا يضمن لها القبول والبقاء الا اذا كانت وثيقة العرى بالايمان القوي الصحيح وفي ذلك معنى الشهادة من الله تعالى لصحة ايمانهم وصدقه وثبوته ورسوخه وشموخه مع الدهر على الاساس القوي الثابت .

وفي قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » اخبر تعالى عن نفسه اذ جعل أمة محمد صلى الله عليه وسلم «وسطا» ووسط الشيء خياره والمعنى جعلناكم دون الانبياء منزلة وفوق الامم

مرتبة ، وجعلنا قبلتكم وسط الارض وفي منتصف القياسات كلها علويها وسفليها عمقها وسطحها ومن كل الجهات وهذا ما يضاف الى ما جاء في الحديث الشريف فقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» قال «عدلا» ـ أي ـ عدولا ولهذا المعنى ارتباط وثيق بالعقيدة والتشريع وذلك لما كان الوسط بين المرتفع السحيق وبين الحضيض المنحط حفظ الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث جعلها تتحلى بمكارم الاخلاق فهي لا تطلب الارتفاع تكبرا ولا ترضى بأن تهبط عن مستوى كرامتها ضعفا وتحدرا وكذلك فهي في عقيدتها وسط بين الغلو والتفريط ووسط في التشريع بين التشديد والتقصير وبذلك استحقت أن تكون خير أمة أخرجت للناس وفي التنزيل «قال أوسطهم الم أقل لكم لولا تسبحون» ـ أي ـ قال خيارهم ولما ثبتت لها هذه الشهادة أقيمت يوم القيامة في مقام الشاهد العدل الصادق الامين وذلك على جميع الناس من أولهم الى اخرهم كما قال تعالى « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ولولا هذا الاختيار في هذا الجعل الالهي لاصاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما أصاب الامم السابقة من انحراف وعناد وتغيير وتبديل وعقاب فله الحمد والمنة على حسن لطفه ودوام فضله وعطفه وفي الحديث الشريف « خير الامور أوسطها » وعن علي كرم الله وجهه قال « عليكم بالنمط الاوسط فاليه ينزل العالي واليه يرتفع النازل » .

وفي قوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله » ...

يتجلى لك من خلال معنى الاية الكريمة أن المسجد الاقصى قبلة المسلمين الاولى لقوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها » وبذلك تعلم أن توجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى كان بأمر الله تعالى الا أنه لم يكن معلوما بوحي الا

---

(٤٦) رواه الترمذي حديث حسن صحيح

بعد أن نزل الوحي في ذلك ولان في ذلك قبلة مبدئية موقتة الى أن يجيء وقت تحويل القبلة الى المسجد الحرام ولان الرسول صلى الله عليه وسلم كان كأنه ينتظر الامر الجديد في التحويل ولذلك فقد اخبر القران عنه بقوله « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » الاية وكـــان التوجه الى المسجد الاقصى محك اختبار وفي الوقت الذي كـــان المسلمون يعيشون فيه بين عناصر دينية يود أهل تلك العناصر أن يميل المسلمون الى ناحية كل منهم ميلا عظما الا ان الله افهمهم بأنهم لسوا على شيء لان كل طائفة منهم تهدف الى تمزيق البشر وطمس معالم الشرائع فجاء تحويل القبلة يقول لهم هذا هـــو الصراط المستقيم الصالح لجميع بني الانسان الذي من سار فيه فقد اهتدى ومن تجنبه فقد ضل وغوى لانه جاء بمعنى احياء معالم الشرائع في نفوس الناس أجمعين فان كنتم تزعمون أنكم بـــدون تحريف ولا تبديل « فاتبعوه لعلكم تهتدون » والا ، فسوف تعلمون لمن تكون العاقبة .

وفي قوله تعالى : « الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » «لنعلم» بمعنى «لنرى» والعرب تضع العلم مكـــان الرؤيا والله تعالى عالم بالامور قبل وقوعها فما معنى هـــذا التعليل والجواب وهو الاصح لان في ذلك اظهارا لقـــدر المؤمنين وقوة ثباتهم وسلامة مقصدهم وتخليصهم من اراء وأفكار المغرضين من أهل الاهواء ومدى قوة ارتباطهم باتباعهم لنبيهم عليه الصلاة والسلام في عظائم الامور وتبصرهم بمعاني الرسالة التي جائتهـــم وأهدافها الصحيحة السليمة النقية وفي ذلك يكون هذا التعليـــل بمثابة اعلام الناس بمستوى المؤمنين الرفيع وليعلم الناس كذلك أن الله تعالى يعلم تفاصيل الامور قبل وقوعها وفي ذلك أيضا اظهار لحال المناوئين للدعوة الاسلامية والتنبيه على مافي نفوسهم مـــن شك ونفاق وريب وعلى ما هم من أهواء وما فيه من حب لتعنصرهم الشائن وذلك مما يستفيد منه المسلمون في مواقعهم أمام مـــن يناوئهم ويعاديهم قال تعالى « أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع

أمن لا يهدي الا أن يهدى »[٤٧]

وليتميز المؤمن من غيره وهو المطلوب من الاختبار والامتحان لما ذكر من أنه ارتد بعض الناس لذلك وقد جعل الله ذلك حدا فاصلا بين من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وبين من ينقلب على عقبيه لانها كبيرة الا على المهتدين ولانه لابد من وضع هذا الحد لتنقية صف المسلمين ممن لا خير فيهم . وفي الايات الكريمة التي نزلت في شأن تحويل القبلة أمور هامة كبيرة ينبغي التنبه لها فمنها أنها بينت السفهاء من الناس وأن الله تعالى جعل الامة الاسلامية الامة الوسطى وأنهم سيكونون شهداء على الناس يوم القيامة وأن الرسول هو الشهيد عليهم وأنها ميزت المؤمن من غيره وأنها الحد الفاصل بين المؤمنين ومناوئيهم وأن الله تعالى حفظ للمؤمنين ايمانهم وأنه بالناس رؤوف رحيم وبينت ما كان ينتظره الرسول صلى الله عليه وسلم من تحويل القبلة وأن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أنه الحق من ربهم وأنهم لن يتبعوا قبلة محمد صلى الله عليه وسلم ولو جاءهم بكل اية وأنه كذلك لن يتبع قبلتهم وأن بعضهم ليس بتابع قبلة بعض وأنهم أهل أهواء وأن أتباع اهوائهم ظلم والعياذ بالله لانهم ظالمون وانهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم وأنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وأن متابعة الحق لا يجوز ان يتخللها افتراء وأن لكل وجهة هو موليها وأنها دعوة الى الاستباق الى الخيرات وأن الله تعالى سوف ياتي بكم جميعا ويحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وأنه على كل شيء قدير وأنها كررت الحث على التوجه شطر المسجد الحرام ثلاث مرات وعللت ذلك بقوله «لئلا يكون للناس عليكم حجة» . وان المؤمنين لا يجوز لهم ان يخشوا الظالمين وأن الخشية يجب أن تكون من الله وأن نعمة الله تعالى سوف يتمها الله على المؤمنين أبدا وأن هدايتهم مؤكدة وأنه امتن عليهم بهذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم

---

(٤٧) يونس اية ٣٥ ، «يهدي» اصل هذه الكلمة «يهتدي» قلبت التاء دالا لتدغم فصارت «يهددي» ثم سكنت لذلك فنقلت حركتها وهي الفتحة الى الهاء قبلها فصارت «يهدي» كما في المصحف .

التسليم حيث أرسله اليهم منهم « يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون » اذن فما عليكم الا أن تذكروني لاذكركم وتشكروا نعمتي عليكم لاتمها عليكم » اه .

روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل الارض في مشارق الارض ومغاربها من أمتي » يعني الذين يعيشون على المعمورة كلها في كل زمان ومكان بدون استثناء فاستقباله والتوجه اليه شرط من شروط وجوب صحة الصلاة لكن العلماء فرقوا بين القريب منه والبعيد فالقريب كما قالوا يجب أن يستقبل البيت بعينه مع اليقين كأنه ينظر اليه وأما من كان بعيدا عنه فلا يتعين عليه استقبال البيت بالذات انما يتعين عليه استقبال جهته بالذات بعد بذل الجهد الموصل الى اليقين بأن استقباله صحيح .. والبعيد عنه اما أن يكون في مسجد البلد الذي هو فيه واما أن يكون بعيدا عن المسجد فان كان في المسجد فجهة القبلة معروفة وهي صحيحة لان المحراب موضوع وفق قواعد علمية تحدد جهة القبلة بالضبط في تعيين البيت بدون ميل .

وأما البعيد عن المسجد أو المسافر فعليه معرفة شطره بكل جهد مستطاع وبالوسائل الكونية كالشمس والنجوم في الليل وللكعبة في النجوم علامات تحدد مكانها — أو جهتها .

وخلاصة القول « أن استقبال الكعبة يجب أن يكون يقينا في القرب وظنا في البعد وهناك أحكام شرعية تتعلق بأحوال الناس فارجع اليها في كتب الفقه تجدها شافية وكافية » .

وقوله تعالى « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » يعني التوجه الى البيت في الصلاة واستقباله هو الحق من ربك يا محمد فاستقبلها بيقين أنت وجميع المسلمين ولذلك فقد أجمعوا على وجوب استقبالها كما ذكر .

ومنها : أن الله تعالى حفظ المسجد الحرام ممن يريده

بسوء ولو كان يملك الدنيا بأسرها ويسيطر على جميع قوتها فمن هم به بسوء أتاه الله من حيث لا يحتسب وجعله عبرة للعـــالمين وأكبر شاهد على ذلك حادثة أصحاب الفيل فان ذلك الجبـــــار المغرور ما كان ليعلم أنه سيقابل بجيش من السماء مزود بالسلاح الرباني الفتاك الذي لا ينجو منه هارب ولا يستطيع أحد أن يقابله بقوة لانها ــ أي ــ «الطير الابابيل» قاذفات ليست من صنـــــع البشر بل هي من صنع رب البشر الذي هو بالمرصاد تلك القاذفات التي ما كلفت الخزينة الربانية نفيرا ولا قطميرا وكما قطعت دابر أولئك الظالمين ولم تبق منهم أحد فكذلك فان كل من يريد المســـجد الحرام بسوء يقطع دابره وتلك سنة الله التي لا نجد لها تبديـــلا ولا تحويلا وقد جاء عن سيد الصادقين صلوات الله وسلامه عليه ما معناه « أن جيشا يغزو الكعبة فاذا كانوا ببيداء من الارض خسف بأولهم واخرهم فلم ينج منهم أحد فلله الحمد والمنة على حفظـــه لحرماته وغيرته عليها .

ومنهـــا : أن الله تعالى جعل حج البيت ركنا من أركــــــان الاسلام الخمس فمن تركه مع الاستطاعة تعرض لسوء العاقبة والعياذ بالله كما قال الله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين » .. وكم في حجه من معان شاملة لجميع معاني تعاليم الاسلام الروحانية منها والبدنية والخلقية والتشريعية وغير ذلك مما هو مرتبـــط بالازل والابد وظواهر الامور وبواطنها وكبيرها وصغيرها ممـــا يطول شرحه نسأله تعالى أن يعيننا على بيان ذلك .

ومنها : أن الله تعالى شرفه ببناء الملائكة له وحجهم لـــــه وطوافهم به وحفظ الله له الى يوم القيامة كما يحجون البيـــت المعمور المحاذي له وكما يطوفون بالعرش وتشريفه له بأن جعله من بيوت الجنة حيث أنزله مع ادم عليه السلام لمـــا هبط الـــى الارض وهذا القول موثوق على التوفيق بينه وبين الاقوال التي تقرر بأن الملائكة هم الذين بنوه قبل ادم وحجو له قبله بالفي عام ومع هذا التشريف تشريفه اياه بالانبياء عليهم السلام فانه ما مـــن

نبي الا وحج وتشرف به حتى جاء خليل الله عليه الصلاة والسلام فزاده الله به شرفا وتعظيما وهكذا حتى جاء سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين فيتم له الشرف الاكبر والمقام الافخم بما ناله بسبب بعثة النبي فيه من حفاوة وتشريف وتكريم وحادثة الاسراء والمعراج منه خاتمة المطاف ثم تطهيره من الاوثان واثار الشرك نهائيا بفتح مكة المكرمة وحتى يوم القيامة .

ومنها : أن الله تعالى كتب له البقاء والدوام ما دامت الدنيا ووعده بأن يحجه في كل عام ستون الفا فما زاد على ذلك فهو زيادة في التكريم وما نقص على ذلك فيتمه الله من الملائكة الكرام فهو على مثل هذه الحالة حتى يرث الله الارض ومن عليها فلله الحمد على فضله وعظيم منته .

ومنها : أن الله تعالى جعله عنوان الامن لاهل الارض جميعا ما دام موجودا على ما هو عليه فالامن لاهل الارض حاصل على الدوام ان شاء الله ولا علاقة له فيما يدور بين الناس من حروب وغير ذلك من الاضرار التي تصيبهم بسبب ظلم بعضهم بعضا أما أعمال الناس في هذا العصر فهي تحمل في ملامحها بوادر لا تدعو الى الاطمئنان فاللهم سلم سلم .

ومنها : أن الله تعالى حرم على من فيه أن يتعرض لانتقاص أي شيء فيه الا ما كان داخلا تحت حكم التشريع الاسلامي كالشرب من زمزم والانتفاع بالاذخر وغير ذلك من الصيد المباح لغير المحرم في الحج وقتل الفواسق الخمسة التي نص عليها الحديث الشريف .

ومنها : أن الطير لا تعلوه بالطيران واذا هجم مفترس من الطيور على فريسته منها والتجأت الى الحرم فانه يتركها ولا يلاحقها فيه .

ومنها : أن الله تعالى شرفه باجداد النبي صلى الله عليه وسلم كما شرفهم به اذ أنهم « خلاصة العرب حيث استخلصهم منهم حتى بني هاشم حيث استخلصهم من قريش ثم استخلص من

بني هاشمم « سيد الخلق على الاطلاق محمدا صلى الله عليــه وسلم » وقصة زواج والد رسول الله مشهورة وقصة افتدائه بمائة من الابل كذلك وقصة حفر زمزم واستخراجها وما فيها على يد جد الرسول صلى الله عليه وسلم وتخلي قريش عن زمزم بعد محاولة طويلة وشاقة بانفراد عبد المطلب بهذا الشرف الكبير ثم قام مــن بعده ابنه الحارث ثم ولده عبد الله ثم علي ثم عبد الله بن عباس ثم داوود بن علي ثم سليمان بن علي ثم عيسى بن علي ثم لمـــا جاء المنصور استناب عليها مولاه ابا رزين وهكذا ظلت تتنوابها الشرفاء كابر عن كابر حتى انتهت الى ال سعود والى يومنا هذا والى الابــد .

وقصة حفر زمزم مشهورة اختصرتها موافقة لمتطلبات هــذا المختصر وهي بتمامها مبسوطة في كتب التاريخ .

ومنها : ان الحسنات تتضاعف فيه الى مائة ألف فالصـــلاة فيه بمائة ألف صلاة وكذلك الصدقة والصيام وسائر الحسنات كما جاء في الحديث الشريف كما رواه جماعة من أهل الحديث عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة وصلاة في مسجدي الف صـــلاة وصلاة في بيت المقدس خمسمائة صلاة »(٤٨)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدي هذا كالف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام »

وفي الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي أفضل مــن الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف الف فيما سواه »(٤٩)

اتضح لك من هذه النصوص أنه لا فرق بين الفرائض والنوافل

---

(٤٨) حديث حســـن

(٤٩) سنده جيد كما قاله الزين العراقي

في هذه المضاعفة واعلم أن مضاعفة الثواب في المسجد الحرام ترجع الى عظيم حرمه الزمان والمكان وان كان أشرف الاماكن في الارض على الاطلاق مكان قبر الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن ذلك بسبب وجود جسده الشريف فيه مع أن العبادة في حدود القبور لا تجوز وانما المطلوب الزيارة التي تتفق مع تعاليم الدين الحنيف كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في تعليمه الناس اداب زيارة قبره الشريف كما لو زاره الانسان قبل وفاته قد حث صلى الله عليه وسلم على زيارة المساجد الثلاثة بقوله « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد » وهي :

١ — المسجد الحرام

٢ — مسجد رسول الله

٣ — المسجد الاقصى

ومنها : أن الارض دحيت من تحت الكعبة ولذلك سميت «أم القرى» — أي — أصلها فهي على هذا الاعتبار المركز الاساسي للارض كلها ولذلك جاءت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم شاملة كل من في الارض من جن وانس وبحكم هذا الشمول الاصلي بنوعية سميت مكة «أم القرى» ويقوي هذا القول ما تبعه من أخبار في نفس الاية وذلك قوله « وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير » . الانذار غير مقتصر على ما حول «أم القرى» بل هو شامل لكل قرية في الارض لحكم شمول الامر بالانذار وبذلك فمكة المكرمة « أم القرى » جميعها في الارض كلها .

ثم ان منطلق الانذار كان من مكة « أم القرى » وليس من غيرها فهي نقطة الانطلاق بالنسبة للتبليغ وقد بلغ الانذار فعلا جميع اجزاء المعمورة كما قال تعالى : « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي الي هذا القران لينذركم به ومن بلغ ءأنكم لتشهدون أن مع الله الهة اخرى قل لا أشهد قل انما

هو اله واحد وانني بريء مما تشركون »[٥٠]

فانظر الى قوله تعالى « لانذركم به ومن بلغ » والى قوله عز وجل « أئنكم لتشهدون أن مع الله الهة اخرى قل لا أشهد » الخ وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم مكلف بدعوة العالمين الى التوحيد وأنه بريء من المشركين فمن امن بالله وحده نجا وله البشارة ومن أشرك ومات مشركا هلك بحكم دخوله تحت حكم الانــذار .

فمكة «أم القرى» بمنزلة القطب الثابت المتصلة به جميع أجزاء الارض اتصالا ثبوتيا فاذا رفع هذا القطب من الارض عند قيام الساعة أتى الارض ما توعد ومن هنا تعلم أن الكعبة «أمان» للارض وأهلها الى يوم القيامة فلله الحمد والمنة على عظيم هذه النعمة » . . . اه

هذه المزايا التي تيسر لي ذكرها في هذا المختصر وقد جاءت موافقة لحجم هذا الكتاب والا فمزايا الكعبة المشرفة أكثر من أن تحصر نسال الله تعالى أن يوفقنا لمعرفتها وشرحها شرحا وافيا امين .

الخاتمــة

تذكر فيها بعض اللطائف

قوله تعالى : «الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمــا »[٥١] أخرج الطبراني عن مجاهد قال : « الكعبة بين أربعة عشر بيتا من السموات السبع والارضين السبع » ومعنى «بين» ــ أي ــ في منتصف القياسات العلوية والسفلية[٥٢] والسطحية[٥٣] وقد ذهب الاكثرون الى أن «الامر»

---

(٥٠) الانعــام اية ١٩

(٥١) الطــلاق اية ١٢

(٥٢) ــ أي ــ العميقة حتى الارض السابعة

(٥٣) ــ أي ــ ظهر الارض من جميع الجهات

هو القضاء والقدر وقيل هو الوحي كما قال مقاتل وغيره وعليه فيكون «بينهن» هو ما بين الارض السابعة الى السماء السابعة وقال الحسن « ما بين كل سماء وسماء أمر » والله اعلم .

ولنلق نظرة فكرية صحيحة على معنى قوله تعالى « يتنزل الامر بينهن » وكما تقدم من أن الامر هو القضاء والقدر أو هو الوحي بكامله وهو منزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو خلقه عليه الصلاة والسلام فنعلم من ذلك بأن الكعبة ارتباطا أزليا وحكميا حقيقيا لشمول معنى القضاء والقدر فتكون الكعبة بهذا الاعتبار محلا للتصريف ومنطلقا له ويتجلى هذا المعنى في ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم فيه وحصول الارهاصات الكبيرة ليلة مولده ثم نشأته فيها ثم وضع الحجر الاسود بيديه الكريمتين في مكانه ثم تعبده في غار «حراء» حتى بدأ نزول الوحي عليه وظل يتتابع حتى نزلت اخر اية عليه يوم عرفة « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » وعندها تم الامر والوحي وهو الشامل لمعنى القضاء والقدر وهكذا فقد شرع الجهاد وبدأت الفتوحات حتى دخل الاسلام في كل مكان واستقر معناه في كل جنان ووجدان ، فليتدبر باختصار .. اه

الباب الثامن

في الاحاديث النبوية فيما يكون بين يدي الساعة

وهذا الباب متمم باختصار الى ما تقدم ذكره وفيه بيان لصحة ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم كما ستراه مشروحا شرحا مختصرا مطابقا للواقع الذي يعيش فيه الناس بصورة عامة وقد انتقيتها من الاحاديث الصحيحة المثبتة في كتب العلماء بدقة وتحفظ

الحديث الاول

روى أحمد في مسنده وغيره عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله » في هذا الحديث الشريف اشارة الى أن الساعة — وهي القيامة — لا تقوم الا اذا لم يبق في الارض مؤمن يذكر الله تعالى بقوله «الله» مما يدل على أن أولئك الذين تقوم الساعة عليهم هم شرار الخلق كما جاء في حديث اخر « لا تقوم الساعة الا على شرار الناس » رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وهذه الظاهرة من البشر تظهر بعد طلوع الشمس من مغربها ويكون باب التوبة قد أغلق وليس هناك ايمان يذكر والمدة التي بين طلوع الشمس من المغرب وبين النفخة الاولى مائة وعشرون عاما وهي التي لا يكون من أهل هذه المدة من يقول «الله الله» واختص هذا الاسم من غيره من الاسماء لانه الاسم الذي أجراه الله تعالى على السنة عباده أجمعين عادة وعبادة وذكرا واستشعارا لانه علم على «الذات الالهية» وشهرته لا يستطيع أحد أن يخفيها حتى ولو كان كافرا أو ملحدا قال تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » وهكذا فهو اسم الجلالة الجاري على السنة الناس أجمعين بل على السنة الخلائق أجمعين ولان جميع الاسماء الحسنى تضاف اليه وهو لايضاف الى اسم منها والحديث عن هذا الاسم المعظم يطول وقد تحدثت عنه بصورة مطولة في غير هذا الكتاب نرجو الله أن ييسر لنا طباعته ونشره انه نعم المعين .

الحديث الثاني

« لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد »

رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه وهذا لا يعني المباهاة بذات المساجد لان المساجد لا تقام الا لله تعالى ولكن المعنى والله أعلم أن هذه المباهاة تكون من قبل المصلين حيث يكون حديثهم في المساجد في أمر دنياهم من جميع نواحيها كما ورد في الحديث الشريف « يكون حديثهم في المساجد في أمر دنياهم » ويدور الحديث حول ما يقيمه الانسان من مبان ضخمة واقتناء السيارات الفخمة والتجارة العامة والشهادات العالية وما الى ذلك مما هو من الامور الدنيوية وبسبب التحدث عن هذه الامور الدنيوية في المساجد تظهر الفوارق بين من يملكها وبين من هو دونه فيكون ذلك بمنزلة المباهاة لان النفس البشرية تواقة للشهرة ، وربما وقعت في المباهاة دون استشعار ومما يدل على صحة هذا القول قوله عليه الصلاة والسلام «في المساجد» ولم يقل بالمساجد لان في هنا ظرف مكان ولو قال « بالمساجد » لانقلب المعنى وربما كان التباهي بالشخصية — أي — أن الانسان يرى نفسه أنه أفضل من غيره وأحق في أن يظهر أمام الناس في مكان لا يليق الا به وهكذا وهذه الظاهرة تكون من علامات قرب الساعة وهي أبعد بكثير عن الساعة من معنى الحديث الاول كما تقدم الا انه يدل على رفع الخشوع وخلو القلوب منه وانفصالها عن الصلة برب المساجد اذ أن القلب المتصل بالله تعالى لا يشتغل في المسجد وخارجه الا بالله تعالى الا ما كان من تحقيق المصالح الدنيوية الموافقة للدين وليست هذه الظاهرة ظاهرة عمومية تشمل جميع الناس والمساجد تجد فيها الكثير من المؤمنين المتقين الخاشعين وانما هي مقتصرة على البعض من الناس ولكن قد يكون هناك من يستطيع تغيير هذه الظاهرة ولذلك جاء النص بلفظ العمومية لان الساكت عن المنكر وهو يقدر على تغييره كالمشارك فيه باعتبار أن الحديث الدنيوي في المساجد منكر يجب تغييره وقد جاء في حديث اخر « وارتفعت الاصوات في المساجد » — أي —

ارتفاع الاصوات في المساجد من أعمال أهل اخر الزمان وهـــذا ما يحدث كثيرا في هذا الزمن .

الحديث الثالث

« لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع ابن لكع »(٥٤)

ومعنى الحديث الشريف ـ اي ـ يكون هذا النوع مـــن البشر أحظى الناس بطيبات الدنيا ومتعها ونعيمها مع كونهـــم لا يصلون ولا يصومون ولا يحجون ولا يشكرون ولا يعرفون عـــن التقوى شيئا ومع ذلك تنصب عليهم نعم الدنيا انصباب الغيـث على الارض وبدون انقطاع ويستعمل هذا اللفظ «لكع» للاحمـق واللئيم والفاسق والملحد والمنافق ومن يشابههم في الاخلاق ويطلق المعنى على من ليس له أصل يعرف به كالذين يتناكحون بغير شريعة وعلى من لا يحمد له خلق من الاسافل والرعاع وحاصل المعنـى أن الدنيا يسيطر على ثرواتها الامم الجائرة من حيث الاستثمار والاستعمار والاستغلال والاستئثار كما هو معلوم فصلوات الله وسلامه عليك يا حبيبنا يارسول الله حيث أخبرتنا عن ذلك قبـل اربعة عشر قرنا .

الحديث الرابـــع

« لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل
فيقول : يا ليتني مكانه »(٥٥)

وذلك حينما تكثر الفتن وتشتد الكروب وتتضاعف الشدائد والمحن والكوارث وتظلم الحياة ولم يبق يومئذ أمل في المخـــرج منها بل انها تزداد مع الايام قسوة واستئصالا فالمؤمن يتمنى الموت خوفا على دينه وحرصا على عقيدته لانه لا يجد من يحميـــه او يعينه ويكون كالشاء الجرباء كما نطق بذلك الحديث الشريف .

واما المنافق فهو على العكس من ذلك لانه يكون مستغرقا في شهواته وملذاته تلك التي تنسيه الواقع المؤلم الذي يعيش فيه

(٥٤) رواه احمد في مسنده والترمذي عن حذيفه وقال احمد لاباس بـــه
(٥٥) متفق عليه . رواه احمد في مسنده عن ابي هريرة

أهل زمانه ومثله المترفون والدهريون ومن هم على شاكلتهم كما أخبر عنهم القران الكريم بقوله تعالى « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر الف سنة »(٥٦) وقال تعالى في الايات التي قبلها «ولن يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم» فانظر كيف استعمل القران الكريم أداة النفي بحيث لا يتصور منهم ذلك أبدا الا انهم في غرورهم وتماديهم في غفلة عن الاعتبار «بالمثلات» فهم كما يقول عنهم القران الكريم « نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ » وكما قال تعالى «قل متاع الدنيا قليل» — أي — أن مدة بقاء الانسان فيها أقل من القليل .

الحديث الخامس

« لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا »(٥٧)

وقد خرج البعض منهم منذ عهد النبوة — اي — قبل وفاته صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى عجل بأخذهم ومحا أثرهم وذكرهم ، وكذلك من هم على أمثالهم ، على مر العصور من بعد ذلك فمنهم من سلط الله عليه من انتقم منه به ومنهم من أخزاه الله تعالى بالخزي المناسب بافترائه ومنهم من جعله أضحوكة للناس على مر الزمن وهكذا ومنهم من ندم وتاب والى الله المرجع والماب .

وأما كذبهم فهو أشد أنواع الكذب اجراما وبهتانا لانه كذب على الله ورسوله ولانه ليس كالذي يكذب على الله ورسوله بوضع حديث مثلا وان كان هذا النوع من الكذب خطيرا لقوله عليه الصلاة والسلام « فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فمدعي النبوة من غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام هو أظلم الكاذبين وأخبثهم سريرة وأنتنهم ذكرا وأعظمهم خطرا وتطاولا لانه يحمل

---

(٥٦) البقرة اية ٩٦

(٥٧) رواه الطبراني عن ابن عمرو من طريقين وزاد في أحدهما « كلهم يزعم أنه نبي » وزاد في رواية « أخرهم الاعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عنبة » ورواه مسلم بلفظ « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا كلهم يكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم » ورواه من طريق أخرى بلفظ ثلاثون كذابا العنسي ومسيلمة و . . .» ا هـ .

في معنى دعواه الباطلة زعمه ابطال النبوات جميعها لمعارضـــــة ما جاؤا به من تشريع سماوي وتشريعه للناس ما يناسب هـــواه وكذبه ودجله ولكن الله تعالى لهم بالمرصاد فقد عجل بأخذهم قبل أن يستفحل أمر واحد منهم .

أما الاعور الدجال فعلى ما يبدو أنه أشد خطرا من الشيطان بل ومن جنوده أجمعين لان الشيطان يتبرأ من الانسان اذا كفر ويقول « اني أخاف الله رب العالمين » بخلاف الاعور الدجال فانـــه يدعي أنه رب الناس ورازقهم وقد تقدم الحديث عنــــه في سياق الحديث عن أشراط الساعة الكبرى فارجع اليه ان شئت وظهوره يعتبر العلامة الثانية بعد المهدي عند من عد ظهور المهدي العلامة الاولى .

وأما الكذب فينقسم الى ثلاثة أقسام **((الاول))** الكذب على الله تعالى ككذب مدعي النبوة وغير ذلك كالتقول عليه بما لم يقله على لسان الوحي والتألي عليه أنه سيعذب فلان «أو سيدخله الجنة بغير استحقاق ونحو ذلك . » **((الثاني))** الكذب على رسوله صلى الله عليه وسلم كأن يضع حديثا مختلقا او يصدق من يضع الاحاديث أو ينسب اليه فعلا زائدا عن أفعاله . أو بالعكس

صلوات الله وسلامه عليه أو يصفه بصفة ليست من صفاته الكاملة أو « ينكر عليه معجزة من معجزاته الشريفة أو يتحدث عنه بما ليس له به علم أو يزيد في عمره أو ينقص منه أو يصفه بأنـــه مرض مرضا منفرا الى غير ذلك مما هو ليس بخاف نعوذ بالله من ذلـــك .

((الثالث)) الكذب على الناس يعني كذب الناس بعضــــهم على بعض وقد قال عليه الصلاة والسلام «أصدقوا اذا حدثتم» وكان عليه الصلاة والسلام اذا رأى من أحد كذبة أعرض عنـــه ولا يتغير ما في نفسه الا اذا علم بأنه تاب ورجع الى الصدق وقد امر بالتزام الصدق مهما كلف الامر حتى ولو رأى الانسان فيـــه الهلكة مثلا وحذر من الكذب ولو رأى الانسان فيه النجاة فـــان

النجاة في الصدق حقا والهلكة في الكذب مهما حاول الانسان أن يجعله صدقا ، قال عليه الصلاة والسلام « عليكم بالصدق وان رأيتم فيه الهلكة » والكلام في ذلك يطول والكذب على الناس مراتب ليس هذا محل تفصيلها نعم أجاز الشرع الشريف الكذب في أمور تتحقق بها بعض المصالح واستقامة الحال مع بعض الناس وهي تنحصر في «الاصلاح بين الناس» و «الحرب» و «كذب الرجل على زوجته ليسترضيها بشرط أن لا يكون ذلك سببا في هدر حقها بالكلية» و «حماية المؤمن من الظالم» و «حفظ الامانة اذا استودعها» ونحو ذلك مما هو جائز ومباح ... اه

وعلى كل حال فاعلم بأن جميع فروع الكذب منبثقة من الكذب على الله ورسوله لان الذي يكذب على الله يكذب على الناس فعلى هذا التعبير يكون الحديث شاملا لكل من يتزعم الكذب سواء كان على الله ورسوله أو على الناس ولان الكذب على الناس يعتبر طمسا لمعالم الحق الذي جاءت به الشريعة واذا أردت زيادة الايضاح في هذا المعنى فعليك بمراجعة كتاب « خلق المسلم » للغزالي جزاه الله خيرا فهو يتكلم لك بصراحة تامة .

الحديث السادس

«لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعا»(٥٨)

والمعنى أن يكون الزهد(٥٩) مجرد قول لاغير وكأنه من بعض القصص يكتفى به(٦٠) عن العمل به .

وأما الورع فهو : تكلف حسن السمت والتزين به اظهارا له دون الرغبة فيه كأن يتزيا الانسان بزي الصالحين الورعين وهو على خلاف ذلك اظهارا وباطلا وهذا ان دل على شيء فانما يدل على الحال الذي يكون عليها الناس في اخر الزمان حيث يفشو

---

(٥٨) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥٩) أخذ الحلال وترك الحرام . وايثار الاخرة على الدنيا وله معان سامية وشريفة وهو من أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام . لان سواهم لا يستطيع التخلق به بصورة كاملة .

(٦٠) الضمير راجع الى القصص .

على الحال الذي يكون عليها الناس في اخر الزمان حيث يفشــو الجهل بالله تعالى وتعاليم دينه ويقع الكثير في الغرور .

الحديث السابع

« لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت »[٦١]

وهذا الحديث في ظاهره اللفظي لا يطلق معناه الا على آخر اخر الزمان — أي — في الوقت الذي يشتغل الناس فيه عــن الحج بظهور العلامات الكبرى بعد عيسى عليه السلام والا فمــا دون ذلك فعدد الحجاج يتزايد في كل عام واما اذا حملنا معنــى الحديث على أن المراد من قوله « حتى لا يحج الناس » — أي — حجا كاملا أو غير مقبول لاحتمال أن يكون من يقصد الحج يقصده بنفقة من المــال الحرام فيكون كالذي لم يحج كما أخبرت عــن ذلك الاحاديث الشريفة فان صح هذا الاحتمال فهو احتمال ضعيف لان الامة الاسلامية والحمد لله لا تخلو قلوبها من الايمان الصحيح الذي يدفع الانسان الى الحرص على القيام بواجبات الدين على الوجه الاصح وخاصة ركن الحج ولمــا لم يكن ذلك احتمالا قويا . فالمعنى ينبغي أن يحمل على ظاهر اللفظ لا على غيره مــن الاحتمــالات .

الحديث الثامن

« لا تقوم الساعة حتى يرفع الركــن والقرآن »[٦٢]

غاية لعدم قيام الساعة — أي — أن الركن والقرآن في حكم وجودهما الداخل في حكم بقاء الكعبة والايمان حتى اخر لحظــة من الزمان يتحقق بذلك بعد قيام الساعة ما داما غير مرفوعين . ولله في أرضه أربعة من اثاره ما دامت هذه الاربعة في الارض موجودة فقيام الساعة غير متوقع وهي — القرآ والســلطان

---

(٦١) مروى عن أبي سعيد وهو حديث صحيح .
(٦٢) رواه السجزى عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

والكعبة والمؤمن ــ فاذا فقدت هذه الاربعة في اخر الزمان فقيام الساعة يومئذ يكون قريبا

الحديث التاســع

« لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها »(٦٣)

فقد حدث زوال بعض الجبال عن اماكنها فعلا فقد نقـــل السيوطي في تاريخ الخلفاء ان في سنة اثنتين وأربعين بعد المائتين في خلافة المتوكل سار جبل في اليمن عليه مزارع لاهله حتى أتـــى مزارع قوم اخرين . وفي سنة ثلاثمائة في خلافة المقتدر ســـاح جبل «بدينور» في الارض وخرج من تحته ماء كثير أغرق القرى . ويدخل في هذا المعنى كثرة زوال الجبال التي تتعرض للـــزلازل والانفجارات والبراكين وغير ذلك من تصدع ونحت يفضي بالجبل الى نقله من مكانه بسبب ما ، ونلاحظ أن هذا الحديث من بـــاب خاص أريد به العام(٦٤)

وذلك لا يكون الا عند قيام الساعة الكبرى كما نطق بذلـــك القرآن الكريم حيث قال « ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيدرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتـــا »(٦٥) وايات اخرى تحدثت عما يعتري الجبال من أحوال مختلفة .

أما ما ذكرته فغير مطابق لشمول معنى الحديث واطلاقـــه انما هو كما ذكرنا خاص أريد به العام وفي ذلك اشارة الى أن حدوث هذا الخاص يشير الى أن حدوث العام من بعده مؤكـــد والله أعلم

الحديث العـــاشر

« لاتقوم الساعة حتى ترضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط »(٦٦)

في هذا الحديث الشريف انذار شديد لشرار الخلق الذيـــن

---

(٦٣) رواه الطبراني عن سمرة رضي الله عنه

(٦٤) ويجوز ان يكون من باب عام اريد به الخاص والاول اصح والله اعلم

(٦٥) سورة طه الايات : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧

(٦٦) رواه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهمـــا

يبدلون نعمة الله كفرا ويغيرون سنة العليم الخبير التي جعلها من أجل النعم على عباده أجمعين ألا وهي نعمة خلق الزوجين الذكر والانثى حيث جعل كل زوج منهما نعمة للاخر بخلق الخصائص الملائمة فيهما لطبيعة كل منهما وبجعلهما سببا لامتداد وجود هذه النعمة ما دام أثر وجودهما في الحياة وهي نعمة يجب على العباد أن يراعوا حقها ويجتنبوها أسباب الجحود والنكران والتغير وقد جعل الله سبحانه في قصة قوم لوط عبرة لاولي الالباب والفطر السليمة يفهم منها بيقين ما كان عليه أولئك الاشقياء الاغبياء الذين انحطوا بأخلاقهم الدنيئة حتى عن مرتبة البهائم فان الذكر من البهائم لا يقرب الذكر ابدا بل ولا يهتم به وقد اجتمعت فيهم جميع خصال الشر من ظلم وفسق وجهالة واسراف وخبث وتدنيس كما أخبر بذلك القران الكريم وما مثلهم في ذلك الا كمثل الصم البكم العمي الذين لا يبصرون ولا يعقلون ولا يسمعون ولا يتفكرون وقد وصل بهم حالهم السيء الى درجة أنهم تطاولوا على مقام النبوة والرسالة وقوم هذا شأنهم لم يبال الله بهم أن يذيقهم أليم العقاب وان يجعلهم عبرة لاولي الالباب وأن يعذبهم بعذاب يختلف عن جميع صور انواع العذاب الذي اصاب المجرمين والكافرين ولست بصدد الحديث عنهم وانما ألمحت لك بهذه اللمحة لتعلم ان الذي يفعل فعلتهم الشنيعة سوف يصيبه ما أصابهم وسوف يحشره الله معهم ويذيقه يوم القيامة معهم شديد العقاب والخزي المبين .

وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حفظهم الله تعالى من الوقوع في مثل هذه الحالة الدنيئة حيث جعل سرائرهم نقية . ونفوسهم طاهرة تقية وأرواحهم مقدسة نزيهة علوية لكن لما لم تنطبق هذه الصفات الا على الفئات المؤمنة منهم ند بعض المنحرفين عن صراطهم المستقيم وسلكوا مسلك الامم الجائرة من قبلهم واتبعوا سننهم المعوجة فوقعوا فيما وقع فيه أولئك الاشقياء ألا انه وللتخفيف عن هذه الامة جعل الله تعالى معاقبة بعض العصاة منهم كالذين يعملون عمل قوم والعياذ بالله دون عذاب

من ماثلوهم من قوم لوط فجاء الحديث يخبر عن أن عذابهم هو رضخ رؤوسهم بكواكب من السماء وذلك اذا لم يتوبوا الى الله تعالى والاسلام رتب على مثل هذا الفعل الشنيع عقوبة مناسبة لعظم حجمها وبشاعة صورتها فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الفاعل والمفعول به دون هوادة الا أن العلماء اختلفوا في كيفية صورة القتل حتى قال بعضهم يرمون من قمة شاهق سحيق ثم يتبعونه بالحجارة ومنهم من قال بغير ذلك .. والحاصل أن قتلهم من الامور المتفق عليها بين العلماء .. وفي اخر الزمان وقبل الساعة سيكون في الناس من يعمل عمل قوم لوط ويستحل ذلك تطاولا على أمر الله العليم الخبير وانحرافا بالفطرة عن مسيرتها الصحيحة وبذلك يكون عقابهم ما ذكره الحديث الشريف « فهل من مدكر » نعم « فان الذكرى تنفع المؤمنين » قال تعالى « ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب » نسأل الله العافية .... اه

الحديث الحادي عشر

« لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر
ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم
ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة
كالضرمة بالنار » رواه احمد والترمذي عن أنس

ومعنى هذا الحديث الشريف — والله اعلم — أن تقارب الزمان المشار اليه هو عبارة عن سرعة مرور الزمن بدون استشعار من الناس وعدم استحضار هذا الاستشعار يومئذ ويرجع الى بعض العوامل النفسانية .

احدها : اشتغال الافكار بكثرة ما يتوارد عليها من هموم وغموم وشواغل كثيرة تدعو الى اشتغال الفكر فيها بدون توقف وهذا بالطبع من الاحوال التي تنسي الانسان وقته الحاضر بين يديه .

ثانيها : استغراق الناس بالنعيم الدنيوي واشتغالهم بالملذات

واللهو واللعب وغير ذلك من متع الحياة واشتغالهم كذلك بحطام الدنيا والتنافس فيها وما الى ذلك وهذا أيضا من الاحوال التي تنسي الانسان مر الساعة أو اليوم أو الجمعة أو الشهر أو السنة وهكـــذا .

ثالثها : جواز أن يكون سرعة مرور الزمن بهذه الصورة ، رحمة بالناس وذلك لشدة حاجتهم الى الاستجمام والراحة وهم يقومون بحمل أعباء كبيرة من الحياة والنفس لا يستقيم حالهـــا بالارهاق ولا بطول العناء بل لابد من سرعة مرور وقت العمـــل مهما كان نوعه ليلتقي الانسان بالوقت الذي يستريح فيـــه وليأخذ كفايته من الاستجمام والراحة وهذا تعبير حسن .

رابعها : هو كناية عن سرعة مجيء الساعة وفي ذلك تفضلا من الله تعالى على عباده المؤمنين بحيث يخرجهم من ظلمات القبور ويتحفهم بتكريمه لهم بجميع أنواع التكريم حيث تلتقي الاحبـــة بالاحبة ولقاء حبيبهم وموجدهم سبحانه من أجل النعم ودخولهـــم الجنة كذلك فيه من التكريم ما لا يوصف ولا يحد ... الخ ... وذلك ما يحصل لهم الا بخروجهم من قبورهم يوم البعث فيكون تقارب الزمان رحمة بالمؤمنين واتماما لامر رب العالمين حيث يعرف كل انسان فضل ربه وعدله .

خامسها : يحتمل أن يكون المعنى لهذا التقارب راجعا الـــى قصر البقية الباقية من عمر الدنيا وسرعة مرورها ـــ فان طبيعـــة الامور تعرف بذلك فان الانسان عندما يكون في أول النهار يـــرى النهار طويلا ويجد في نفسه تأملا بما هو فيه من الاحوال ولكـــن عندما يصير في اخره ولم يبق منه الا القليل يرى النهار أصبـــح قصيرا لـــم يـــدر كيـــف مـــرت تلـــك البقيـــة الباقيـــة منه ؟ ويذهب عنه ما كان يجده في أوله ـــ أي ـــ ذلك الاستشعار بطوله ومثل اليوم جميع أجزاء الزمن ... اه

الحديث الثاني عشر

« لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه الناس فيقتل تسعة أعشارهم[٦٧]

في هذا الحديث الشريف تحذير للناس من تطلعهم الى حب المـــال واستشرافهم له بحالة تتنافى عن الوقوف عنـــد حدود الفضيلة والزهد والقناعة حيث أن الولع في حب المـــال يسبب للانسان ضررا كبيرا فيما اذا دفعه الطمع الى ذلك .

وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث أن المـــال سيفيض في اخر الزمان بشكل عجيب وغريب حتى أن الرجل يخرج بصدقته ويعرضها ويهم من يقبلها فلا يجد أحدا يقبلها وقبيل قرب الساعة تخرج الارض أفلاذ كبدها من بطنها على ظهرهـــا كشبه الاسطوانات الا أن هذا الحديث الشريف جاء ليخبر الناس عما سينحسر عنه نهر الفرات من كنز كبير وهروع الناس اليـــه من كل جانب ثم ينشب بينهم قتال رهيب بقصد الاستئثار به وينتهي القتال بالناس الى فنائهم حيث لم يبق منهم الا العشر وهي نسبة متناهية في القلة وليس بعد هذا الا التنصيف ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاقتراب منه ومحاولة الاخذ منه والدخول في مخاصمة مع الغير من أجله وفي ذلك الظفر بالسلامة التي هـــي أثمن من كل ثمين .

ويبلغ طول نهر الفرات «٢٣٧٥» كم يبدأ من هضبة «أرمينا» في تركيا ثم يدخل في أراضي سوريا « عند جرابلس » ويجري في سوريا بين «جرابلس» وأبي كمال حيث ترفده أنهار البليخ والخابور ـــ والخابور ـــ خابوران ـــ أحدهما : يرفد الفرات جنوبي شرقي دير الزور في سوريا والاخر يرفد دجلة عند نقطة التقاء الحدود

---

(٦٧) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة ورواه أحمد ومسلم عن أبي وفي اخـــره « حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون وكذلك رواه مسلم عن ابـــي هريرة وروى عنه الشيخان وأبو داوود مختصرا بلفظ » « يوشك الفرات ينحسر عن كنز فمن حضره فلا يأخذ منه سيئا » وفي رواية نعيم بن حماد عنه فيقتل من كل تسعة سبعة فاذا أدركتموه فلا تقربوه .

العراقية التركية كما أنه يتابع مسيره حتى يدخل الاراضي العراقية وهكذا حتى يصل الرمادي وهناك يعرض مجراه ويكون حوضه أخصب وبعد الرمادي والفالوجه يسير النهر في أرض مستوية ثم لا يلبث أن يقترب من دجلة ويتابع الفرات جريانه حتى يلتقي بنهر دجلة عند كرمة علي ويكونان شط العرب فسبحان الله العليم الحكيم ولمياه نهر الفرات فضائل كثيرة لانه من الانهار الاربعة التي تخرج من الجنة الى الدنيا وهي : سيحان وجيحان والنيل والفرات ومن خصائصه أنه يبرى من العاهات على ما ذكر عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه شرب من مائه ثم استزاد فقال ما أعظم بركته لو علم الناس مافيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ما غمس فيه ذو عاهة الا بريء .

وذكر السدى أن الفرات امتد في زمن عمر رضي الله عنه فالقى رمانة كبيرة عظيمة فيها كر من الحب فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وهم يرون أنها من رمان الجنة وعن علي رضي الله عنه قال : « يا أهل الكوفة ان نهركم هذا ينصب اليه ميزابان من الجنة » ... اه

سيحان وجيحان والفرات والنيل من أنهار الجنة . حديث صحيح رواه الحاكم عن ابي هريرة .

وسيحان نهر العواصم قرب مصصة : وجيحان نهر أدنة . هذا هو الاصح بخلاف من وهم بأن اسميهما سيحون وجيحون ، فقد حكى النووي الاتفاق على المغايرة . لان سيحون نهر بالهند أو السند وجيحون نهر بلخ ينتهي الى خوارزم .

وأما الفرات والنيل فهما المشهوران المعروفان .. اه

الحديث الثالث عشر

« لاتقوم الساعة حتى يرفع الركن والمقام ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم »

ومعلوم ان اخر الايات رفع القران من الصدور والسطور

بعد رفع الكعبة وبسبب رفعهما وعند تلك اللحظة يرفع كذلك الايمان وبارتفاع الايمان يفتقد المؤمنون من بين الناس ولما لم يكن هناك مؤمن لم يبق أثر متصل بالحقيقة المحمدية فيكون ذلك سببا لرفع رؤياه في المنام مما يدل على قرب قيام الساعة اذا ما رفعت هذه الامور الثلاثة عن الارض بالاضافة الى ما تقدم ذكره كرفع القرآن وغيره .

الحديث الرابع عشر

« لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمن وتظهر الفتن ويكثر الهرج — القتل — وحتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهرب رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها »(٦٩)

اعلم ان الفئتين العظيمتين المذكورتين في هذا الحديث حيث تكون دعوتهما واحدة هما باختصار كما تشير اليه ملامح الواقع حيث أن العالم يقف الان باسره بين معسكرين عظيمين وهما المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي وأن دعوة كل واحد منهما واحدة فالمعسكر الشرقي ينقسم الى قسمين بين دولتين عظيمتين هما «الصين وروسيا» والمعسكر الغربي ينقسم كذلك الى قسمين

---

(٦٨) أخرجه الجزي عن ابن عمر رضي الله عنه

(٦٩) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

كبيرين يدخل تحتهما عدد كبير من الدول المعدودة وغيرها يتزعم القسم الاول الولايات المتحدة ويتزعم القسم الثاني رأس الدول الاوروبية . يتضح لك من خلال هذا الكلام أن هناك احتمالات متواجهة من أن معنى الحديث الشريف يتناول معسكري الاشتراكية وهما الصين وروسيا ويتناول كذلك معسكري الرأسمالية وهما الولايات المتحدة ورأس الدول الاوروبية . ومما يزيد الاحتمال توقعا ظهور الخلاف بين أقسام هذين المعسكرين وليس الخلاف الظاهر بين هذه الاقسام متقاربا في أهدافه وحجمه على أن احتمال وقوع هذا القتال بين المعسكرين الشرقيين أكثر من وقوعه بين المعسكرين الرأسماليين والله أعلم .

تنبيه : هناك فئتان من المسلمين وقع بينهما قتال وهما فئتا علي ومعاوية رضي الله عنهما وحصل بينهما من القتال ما حصل ولكن — والله أعلم — لا يطلق معنى ما جاء في أول هذا عليهما وذلك بحكم البعد الزمني بينهما وبين الفئتين العظيمتين الموجودتين في هذا الزمان ، وان صح الاحتمال على أنهما هما بالفعل فلا يعني ذلك قرب قيام الساعة وانما يعني أن هذه كغيرها من العلامات التي تكون في اخر الزمان — أي — قبل ظهور أول علامة من العلامات الكبرى والله أعلم .

وأن الخصال الاخرى التي عددها الحديث الشريف فهي معلومة ، وقد ذكر الاغلبية من هذه الخصال في الابواب المتقدمة، وأنها — أي — هذه الاغلبية ظهرت ولم يبق من الخصال التي عددها الحديث الشريف الا القليل ، وهي التي تكون من الساعة قاب قوسين أو ادنى .

الحديث الخامس عشر

« لاتقوم الساعة حتى يمشي ابليس في الطريق والاسواق يقول حدثني فلان عن رسول الله بكذا كذبا وافتراء »(٧٠)

يفهم من هذا الحديث أنه اذا كان الناس على مقربة من قيام

(٧٠) هذا الحديث مذكور في رواية أبي العالية .

الساعة ، كثرت اشاعة الكذب في كل مكان جهرا واستهتارا ومكرا وخداعا ، ويكون ابليس عياذا بالله من شره ، هو الذي يروج ذلك الكذب بين الناس ليوقعهم في الضلال ، ويتولى ذلك بنفسه ، ويظهر في الاسواق والطرق ، بصورة انسان من البشر ، وبشكل مموه يظنه الناس أنه رجل صالح من بني آدم . وفي ذلك اشارة الى أن الجن قادرون على التشكل بأية صورة شاؤا ويفهم من خلال معنى هذا الحديث أن ذلك الزمان يكون خلوا من العلماء وأهل الدراية والعلم بالحديث الشريف ، لان الاحاديث التي يشيعها ابليس انذاك لا تخفى على العلماء لو كانوا موجودين ، لانها ظاهرة المعنى من حيث أنها تأمر بالضلال والمعاصي والفسوق والفساد . فلو كان هناك يومئذ علماء عالمون لحذروا الناس من ذلك ولبينوا لهم حقيقته

الحديث السادس عشر

« اذا رأيت الخلافة قد نزلت الارض المقدسة فقد دنت
الزلازل والبلابل والامور العظام والساعة
يومئذ اقرب من يدي هذه الى رأسك »(٧١)

ومعنى هذا الحديث أن نزول الخلافة الارض المقدسة ، دليل على دنو الايات العظام التي تكون بين يدي الساعة ، ويفهم من معنى هذا الحديث أن الخلافة المشار اليها هي « خلافة المهدي اخر الزمان » فانه ينزل في بيت المقدس ويتخذه مقرا لخلافته ، حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وليس المراد منها نزول بعض الخلافات السابقة لانه لو كان الامر كذلك لرأينا الايات والزلازل والبلابل والامور العظام ، ولانتهى أمر الدنيا بعدها ولكن المعنى بوضوح يطلق على خلافة «المهدي عليه السلام» لانه اخر الخلفاء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه يعقبه عيسى عليه السلام في الظهور ويظهر الدجال بين عيسى والمهدي حتى يقتله عيسى ثم تتابع الايات كنظام انقطع سلكه فتتابع

---

(٧١) رواه ابو داود والحكم عن عبد الله بن حواله

وحقا انها لامور عظام ، واحداث جسام « والساعة يومئذ تكون على مقربة من الناس » كما اخبر صلى الله عليه وسلم وشرف وكـــرم .

الحديث السابع عشر

« ست من أشراط الساعة موتي وفتح بيت المقدس وأن يعطى الرجل الف دينار فيتسخطها ، وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم وموت يأخذ في الناس كقعاص الغنم وأن يغدر الـــروم فيسيرون بثمانين بندا تحت كل بند اثنا عشر الفا »(٧٢)

اعلم ان هذه الامور الست فيها ما كان وانتهى ، وفي مقدمتها موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم فتح بيت المقدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأما استفاضة المـــال فقـــد حصل كذلك لمـــا أتت الفتوحات الاسلامية على الامة ، وانتقلت أموال الامم كلها الى الخزينة الاسلامية ، الا أن نفوس الصحابة رضوان الله عليهم كانت قانعة ، ولم يكن هدفهم انذاك الدنيا ولا ما فيها من ثروات ، وحاشا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لانهم كانوا على جانب كبير من الاخلاق الكريمة والخصال الحميدة ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه أما التسخط مع كثـــــرة العطاء فانه لا يكون الا من ذوي النفوس الحريصة على شهواتها وحظوظها الدنيوية ، ولا يكون ذلك الا اذا جف الايمـــان الصحيح عن النفوس ، واستولى عليها حب الدنيا لان ذلك هو ســـبب التسخط ، ولا يكون الا في اخر الزمان وان تقدمته بعض الصور الجزئية على مر العصور ومن يدري فكم من أحداث مؤلمة يسببها هذا التسخط ، ربما كان سببا في شفاء بني الانسان يوما مـــن الايام . نسأل الله تعالى أن يجنب المسلمين ذلك انه اكرم مسؤول وخير مأمول .

وأما الفتنة التي يدخل حرها بيت كل مسلم ، فيخبرك عنها

---

(٧٢) حديث صحيح رواه أحمد والطبراني عن معاذ وهو مروي كذلك عن عـــوف ابـــن مالك

البدع ومظاهر زينة الحياة الدنيا والات اللهو كالمعازف وغيرها فانه ما من بيت من البيوت الا وفيه من هذه الوسائل الشيء الكثير والمعنى يطلق كذلك على تبادل الزيارات الخارجة على حدود الشرع وقواعد الدين ، وعلى اجتماع الرجال الاجانب بالنساء الاجنبيات ، ويطلق كذلك على اقتناء المجلات المليئة بالحديث عن مغازلة الفتيات ، والاحداث المزرية التي تقع في المجتمعات البشرية ، ويطلق كذلك على الصور الكثيرة باختلاف انواعها وأشكالها ومظاهرها ، ويطلق كذلك على أشرطة التسجيل التي لم تترك صوتا غنائيا جميلا مثيرا للعواطف البشرية الا وحملته ولا عبارة كذلك تتغنى بأحسن غناء وأدعاة لاثارة العواطف لكل من الجنسين الا وأبدعته ، وانها تحمل طابع الصراحة بدون استحياء ، ويطلق كذلك على الازياء المختلفة التي تزيد من محاسن المرأة أمام النظار ، ويطلق كذلك على الاعتناء بالافكار الاجنبية ، وما تحمله من اراء وأفكار وايثار تعلم ذلك على تعليم ثقافة الاسلام ، وأشد من هذا كله ترك عبادة الله تعالى فان كثيرا من البيوت لا يذكر فيها اسم الله تعالى ولا تتلى فيه اياته الكريمة ولا يقيم أهلها الصلاة المكتوبة ، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، ولا يقيمون للفضيلة وزنا . ويطلق كذلك على ادخال الاشياء المحرمة والضارة من مأكولات ومشروبات في البيت بدون مبالاة بكونها محرمة ، ثم انك لا تجد بيتا يخلو من «الدخان» تلك المادة الخبيثة التي يسري ضررها في النفوس سريان الداء الفتاك الذي اذا تمكن من النفس استعصى على قواعد الطب ووسائل الشفاء ، وأفضى بالحياة الى الذوبان والذبول ، وفوق ما فيه من أضرار صحية ، لا تنس أضراره المادية التي تهدم الحالة الاقتصادية عند الاكثرين ، دون شعور بذلك ، اذا قيل للانسان اتق الله في مالك ونفقة عيالك وصحتك ، يستغرب منك هذا النصح الديني ، ويقول قولته الجريئة على الشرع والمنطق العقلي السليم، ائتني بدليل من القران ينص على تحريم الدخان ، وكانه يريد وحيا جديدا اذ لم يقتنع بمنع الاسلام شربه عن طريق القياس الذي يعتبر عند المسلمين مصدرا من مصادر التشريع الاسلامي الاربعة

بينما وفي نفس الوقت وقبل ظهور الدخان « بخمسة قرون جاء القران الكريم يقول : «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين » فاذا لم يكن الدخان من المأكولات ولا من المشروبات المباحة التي ينهي القران عن الاسراف في استعمالها وأن المسرف مبغوض عند الله فهو في طبيعته الخبيثة المضرة الفتاكة أشـــد خطرا على الانسان في جميع انواع الاسراف والتبذير ، والطعام والشراب اللذان نهى الله تعالى عن الاسراف فيهما لهما أوقـات محددة بالنسبة للطعام وهي كما هي معروفة من ضرورتهـــا لا تتجاوز الثلاث مرات في اليوم والليلة — أي — مدة اربع وعشرين ساعة وأما المـاء أو الشراب المباح فيتكرر في اليوم والليلة بصورة منتظمة تتفق مع ضرورة الجسم ومتطلباته الحيوية : فالاســلام نظم تناول الطعام والشراب حسب مقتضى الضرورة فلا يأكـل الانسان الا على جوع ولا يشرب الا على عطش وليس للانســان غنى عن هذين الاصلين في حفظ صحته وتنمية جسده وهما مع ذلك يحتويان على جميع الخصائص اللازمة لذلك ومقومات التنميـــة الجسدية والروحية يعنى الطعام للجسد والمـاء للروح لان الطعام من الارض والمـاء من السماء كما ان الروح من السماء والجسد من الارض وفي معنى نزول المـاء من السماء واختلاطه بجميــع أجزاء الارض من تربة وغيرها اشارة الى اختلاط الروح بجميــع أجزاء البدن وكلا الصورتين متشابهتين ومتوافقتين ثم انظر كيف أن الله تعالى سخر للانسان جميع الوسائل الضرورية لاصلاح الارض واستثمار ثرواتها بكافة أنواعها واستخلاص جميع أنواع الغــذاء بطرق معروفة مألوفة وربط سعيه الدؤوب بذلك وجعل في نفسه حب التطلع لذلك والجسد لا يستطيع وحده أن يفعل شيئا لــولا وجود الروح المدبرة فيه والروح وحدها لا تستطيع أن تفعل شيئا لولا وقاية الجسد لها ، وكلاهما يعتمدان على ما يتناولانه مــن طعام وشراب ولو أردت أن أزيــدك على هذا البيان لاشغلتــك زمنا طويلا ولكن خير الكلام ما قل وأفاد فكن من خيرة العباد والله يتولى هدايتنا وهدايتك وجميع المسلمين للخير والرشاد انــه خير هــاد .

اما الدخان يا أخي المحترم فانه خارج عن هذه المعاني كلها ولا يدخل ذوقا وحسا في طرف من أطرافها فهو وان كان يخرج من الارض ويمتص مادته منها الا أنني أذكرك بطهر السماء وقداسة ذلك الطهر ، ثم لما تمخض القضاء والقدر عن عجائب محتوياته الغيبية تقذف بابليس من ظلمات بواطن الشرور فاذا به يملؤها نتنا وخبثا لولا أن الله طهرها منه والى غير رجعة

اذن فالحكمة الالهية جارية وفق النظام الازلي الذي قضى أن لا يعرف الشيء الا بضده فلولا وجود الشر لما عرف الخير وبالعكس .

ولولا وجود الانسان لضاع معنى الاختبار والامتحان ولما كان لوجود الجنة والنار معنى : « فهل من مدكر » .

ثم ان ابن ادم يوم القيامة يسأل عن ماله من أين جمعه وفيم أنفقه فلسا فلسا ودرهما درهما ودينارا دينارا فرب ثمن شيء من المأكولات أو غيرها من النفقات تقرب به المؤمن الى ربه أدخله الله به الجنة ، ورب ثمن «علبة الدخان» دخل به الانسان النار أو حوسب عليه حسابا عسيرا « لان الاسلام جاء ينهي عن اضاعة المال» وقال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » وشارب الدخان لا يعلم بأنه أضاع أمواله في الدخان على حساب «ابليس» لانه أستاذ السفهاء كما أخبر عنه بقوله تعالى « وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا » — أي — يأمر الجن بأن يقولوا على الله القول الشطط « لان هذا القول للمؤمنين منهم قالوا ذلك بعد أن امنوا بالله ورسوله » .

والكلمة التي لابد منها هي أن الامة في هذا الدور التاريخي الكبير هي بحاجة ماسة الى هذه الاموال الضخمة التي تذهب ضحية النيران ليل نهار على أنها لو جمعت في صندون خاص — أي — مقدار ما ينفقه شاربو الدخان سنة واحدة لقامت هذه المتوفرات بسد حاجة الامة في كثير من المصالح التنموية والحيوية والحاضرة والمستقبلية فاننا لو قمنا باحصاء هذه المبالغ بدقة لوجدناها تفوق

على خزائن أمة من الامم الغنية هذا قليل من كثير أوليس من الانصاف أن تنفق هذه الاموال فيما يعود على الامة بالخير والرفاهية واقامة المشاريع وسد حاجة الفقراء والمعوزين ...؟ نعم قل معي يا أخي ألف نعم لنرضي الله تعالى ورسوله والوطن والتاريخ والضمير والا فيكفي أن أقول لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أللهم ألهمنا وجميع المسلمين لان نسعى لصالح الدين والدنيا والاخرة ... امين .

ولنرجع الى ما نحن بصدده من استعراض بقية هذه الخصال الست التي ذكرها هذا الحديث الشريف « وموت يأخذ الناس كقعاص الغنم»(٧٣) وقد فسره العلماء بطاعون عمواس الذي وقع زمن الصحابة واستشهد به عدد منهم ولا حاجة للحديث عنه لانه معروف ومعنى هذه العبارة قد لا يطلق على غيره لانه لم يحدث ما يشابهه .

وأما ما تسببه الحروب الطاحنة كالحروب العالمية من موت وفناء فهو سببه من حيث الكم بفتك الطاعون الانف الذكر بل ان خطر وضرر مثل هذه الحروب أشد وأنكى من فتك الطاعون فالطاعون يقضي على الناس بدون حرقهم بالقنابل .

وقد أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه «رحمة لامته» يتخذ منها به شهداء فيدخلهم الجنة مع الداخلين .

وأما الاسلحة المدمرة فهي من نوع «الويل» الذي أخبر عنه المولى عز وجل نسال الله السلامة وأما قوله عليه الصلاة والسلام « وأن يغدر الروم فيسيرون ...» . فواضح من أن خاتمة الحديث الشريف تبعث عبر القرون الماضية وقبل أربعة عشر قرنا مع أثير حركات الفلك للمسلمين تحذيرا شديدا يضع النقاط على الحروف ويقول لهم يا أمة الاسلام « ان من يطمع في النيل من وجودكم ايا كان من النوع الذي لا عهد له ولا ميثاق فها أنا قد

---

(٧٣) داء يأخذ الغنم فتموت فورا .

نصحت لكم وحذرتكم فاقبلوا النصح وخذوا حذركم وأعدوا للامر عدته ، فان عجلة الزمن لا تنتظر الغافل المتخلف وقد تركت فيكم كتاب الله وسنة نبيه فانظروا فيهما ولا تغفلوا عما فيهما من النصائح والحكم والحرص على مصالحكم والا فقد اعذر من أنذر ولله عاقبة الامور » ومن هؤلاء الذين سيغدرون بالامة الاسلامية ؟ أليست فلسطين التي تضم المقدس هي المحك والمؤشر على ما يبدو من تصرفات من وضعوا ايديهم الاثمة عليها ؟ فان المسلمين ليس لهم عندهم عهد ولا ذمة ولا ندري ما اذا جروا العالم بأسره الى الدخول في نزاع لا تحمد عقباه مما يسبب استفحال الشر والانضواء تحت ظله الرهيب . فلا ينفع عندها شيء ولم يبق أمام المسلمين الا مواجهة الباطل بالحق والظلم بالعدل والغدر بالصدق والوفاء(٧٤)

الحديث الثامن عشر

« بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم »

ومعنى ذلك يكون بين يدي الساعة اختلاف وتطاحن مرير وتشاحن وتباغض وبغي وعدوان وتختلط الامور فلا يعرف الحق من الباطل ولا الخير من الشر ولا النور من النار وتكون هذه الامور مليئة بالاهواء المظلمة والاراء القاتمة والصور الرهيبة حتى تبدو وكأنها قطع من الليل المظلم تغطي العقول بحلكتها والنفوس بظلمتها ويدب الشر تحت حجبها الكثيفة دبيب الداء الفتاك ويلتمس المخرج فلا يهتدى اليه لان المخرج عند الله وأهل الارض يطلبونه ممن سواه وهو في النور ويلتمسونه في الظلام وهو في العدل ويلتمسونه من الجور وهو في الحق ويلتمسونه من الباطل وهو في الرحمة ويلتمسونه من القسوة وهو في المحبة والتالف والتاخي ويلتمسونه من البغضاء والقطيعة الشنعاء وهو في الاسلام ويلتمسونه من غيره وهو في القرآن ويلتمسونه من أقوال أهل الزور والبهتان وهو في الصدق والاخلاص ويفتشون عنه في الكذب والرياء والنفاق

---

(٧٤) كتبة مؤلفه

عند من ليسوا من أهل الصدق والاختصاص اللهم أهد عبـــادك الى المخرج السليم يا عليم يا حكيم .

الحديث التاسع عشر

« بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف »(٧٥)

والمسخ يكون بمسخ صور المعاني وليس قلب المعاني وذلك بسبب فساد الفكر والضمير والوجدان فيبدو الانسان على صورة مبناه ولكنه على غير ذلك في صورة معناه فالصورة صورة الانسان ونفسه خالية من معنى الانسانية وعمله لو تجسد أمام الناظر لظهر في صورة شيطان أو صورة معنى المخلوق الذي يفعل أفعاله .

واما الخسف فنعوذ بالله منه ونستجير به من سخطه فانـــه يتعلق بكافة أنواع الزلازل والخسوفات والبراكين والانفجـــارات الارضية قديمها وحديثها كبيرها وصغيرها حمانا الله من ذلك .

وأما القذف فاحتفظ في مخيلتك أو مفكرتك بأرقام وأنـــواع القاذفات التي تفوق على عدد طير الابابيل التي أرسلها الله علـــى أبرهة وجنوده وقنابلها التي تزيد على عدد الحجارة التي أمطرها على قوم لوط هذا اذا لم يصب الظالمين ما أصاب أمثالهم والله تعالى يقول مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد نسأل الله العافيـــة .

الحديث العشرون

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من مشجر اليهود »(٧٦)

---

(٧٥) رواه ابن ماجه عن مسعود رضي الله عنه .

(٧٦) رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه كذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ « لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم » ورواه أيضا بلفـــظ تقتتلون أنتم ويهود .... الخ .

المهم أن نفهم من هذا الحديث الشريف أن سنة الله لن تتغير ولن تتبدل ولا يستطيع أحد من الناس أن يغيرها أو أن يبدلهـا كما قال تعالى «ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا» والامور تبدو من خلال النصوص القرانية وكأنها أدوار تاريخيـة تمثل سلسلة من الحلقات المرتبطة بتاريخ اليهود على مر العصور وان هذ ەالحلقات كما بدأت بارتباطها لاول مرة وكيف أنها أنتهت بهم الى الزوال وذلك في كل مرة وفي كل دور من الادوار فبعد أن أنتهى بهم دور النبوات الى الخسران المبين حيث أهملوا شأنهـا وتطاولوا على حرمتها وطمسوا اثار معالمها فعل الله بهم ما فعل وسلط عليهم من جعلهم به أحدوثة تتناقلها الاجيال جيل بعد جيل جزاء بما كانوا يفسدون أما العبرة فليس لها في نفوسهم أي اثر مفيد فلذلك ظلوا يعاودون سيرتهم على نفس الاسلوب الذي ةعودوه أول مرة مثلهم في ذلك كمثل الذي يحاول أن يجعل مـن المستحيل ممكنا ومن الباطل حقا الا أن سنة الله قضت أن يظلوا « كمثل الذي يسابق الزمن ليتخذه مطية له يسيره كيف يشاء » . فهو يلهيه ثم في النهاية عن مراده يبعده ويقصيه بل يجعله كالحالم الذي لا يدري كيف غاب عنه الذي كان فيه .

ولمـا جاء دور النبوة المحمدية عاد اليهود الى تمثيل نفس الدور الذي عاشه أسلافهم زمن أنبيائهم وهي أدوار مليئـة بالمؤامرات والمحاولات والسلبيات والمناوءات وقليل ما هم .

الا أن الحق لم يفسح لهم في عهد النبوة المحمدية أي مجال يذكر فعجل بأخذهم بعد أن ارتكبوا من الاعمال الخبيثة ما استحقوه به من الجزاء الاوفى .

ولمـا أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم عالية مدوية أن « لا يتقابل في الجزيرة ناران » أطفأ الله تعالى نارهم التي أوقدوها بصيب الايمان وكان ما أوروه منها عبارة عن شرارة أحرقوا بهـا أنفسهم ولم يصب المسلمين منها شيء .

وانتهى أمرهم وظل الزمن يلاحقهم أينما حلوا وفي أي مكان

تولوا وهكذا حتى جاء دورهم في فلسطين وكانوا قد دخلوا فيهــا بالطريقة التي رسموها قبل ذلك بمدة طويلة وياليت المسلمــين أراحوا انفسهم من هذا العناء الطويل الذي عانوه من أجلهم ولكن الغيب ليس ملكا لاحد فهو مفسر من قبل صاحبه في لوح القضاء والقدر حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

فتارة يقول عنهم « واذا تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » واخرى يقول لهم « وان عدتم عدنا» وتارة يقول عنهم « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » واخرى يقول لهم « فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا » واخرى يقول عنهم « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة » ثم ان الحديث الشريف يجيء ليبرز الصورة الواضحة الجلية وليجليهــا في وقتها الموقوت لاجله المسمى فيقول « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ... الخ » . أليس في ذلــك لفت نظر الى ارتباط الحقيقة بالحقيقة ؟ وأن الربط يعتبر في واقع الامة الاسلامية من أكثر العوامل التي تربطها بأسباب القـــوة والمنعة والنصر والظفر ؟ ولمــا لم يسبق في تاريخ الامة الاسلامية أنهم لم يقاتلوا اليهود حتى بلغ بهم القتال الى أن كلمهم الشجــر والحجر بمثل ما أخبر عنه الحديث الشريف اذن فالامر واضـــح من سرعة مرور الزمن سوف يؤكد لهم ذلك .

لكن الواقع يشهد بالعكس من ذلك وهل بامكان الامة الاسلامية في هذه اللحظة أن تظهر بين الامم كأمة موحدة متمسكة بتعاليــــم الاسلام حتى يمكن القول بأن معنى هذا الحديث ينطبق عليهـــم انطباقا فعليا نترك الجواب على هذا لمدى ارتباطهم بأسبـــاب عزتهم وسعادتهم وتعاليم اسلامهم على أنه لابد من الوصول الى النتيجة المثمرة في ذلك لان الحديث الشريف يقضي للمسلمين أن يكونوا على مثل عهدهم الاسلامي الصحيح ليتم بذلك الوعد المحقق ان شاء الله تعالى ولابد من ذلك .

وفي هذا الحديث الشريف بشارة للمسلمين تبشرهم بنصر الله لهم على الذين اغتصبوا حقهم وطمعوا في ثرواتهم وكذلك فهو يدعوهم الى التمسك بتعاليم دينهم وسنة نبيهم **وفيه بيان الى أن** ذلك سيكون سببا لتحقيق النصر على خصومهم وفيه تحذير من هجر تعاليم الاسلام واستبدال أفكار أجنبية أو باتباع سنن الكافرين لان ذلك مما يفرق وحدتهم ويضعف صفهم ويحولهم الى شعوب مختلفة في أفكارهم وارائها منقسمة على نفسها لا تجمعهم رابطة الدين ولا تربطهم عقيدة المسلمين بل يكون تقاربهم من أجل أمور الدنيا فما دامت هذه الامور متبادلة بينهم دام بذلك تقاربهم واذا ذهبت انتهى التقارب بذهابها وطبيعتها فان ذلك لا يضمن لهم بقاء وحدة ولا بناء قوة ، وبناء تاريخ المسلمين على مر العصور لم يقم الا على أسس المبادىء الاسلامية الصحيحة وفيذلك أعظم درس لهم وأن نجاحهم في هذا الدرس كفيل بأن يقرب يوم النصر الذي ينتهي فيه أمر أعدائهم ولا يجدون فيه ملجأ ولا وليا ولا نصيرا فاللهم الهم المسلمين العمل بكتابهم وسنة نبيهم انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم .

الباب التاسع

« في السلامة من فتن اخر الزمان »

بين أيدينا أمران عظيمان جامعان لجميع معاني أسباب السلامة من الفتن في كل زمان ومكان وكفيلان كذلك بسلامة هذه الاسباب من أن يتطرق اليها الضياع أو أن يعتريها بعض النقص أو الضعف أو الوهن وهما الاصلان الاساسيان في تكوين الامة قبل أربعة عشر قرنا بعد أن لم تكن شيئا يذكر وهما بكل ما فيهما من مقومات يشكلان منهجا موحدا صحيحا فيه الكفاية عن كل ما سواه لانه نور مبين وصراط مستقيم ... الخ . ومعنى السلامة الكاملة من الوقوع في الضلال والفتن والزيغ والحيرة وغير ذلك ويجدر بنا أن نقدم بعض اللمحات عن كل منهما لتتم الفائدة من هذا الكتاب ويعم النفع .

أما القرآن : فالحديث عنه لا يدخل تحت حصر ولا يقف عند حد ولا تتسع له بطون الكتب ولا تحيط به عقول المفكرين ولا الفلاسفة المثقفين فصريحة نص قاطع ومعناه نور لامع وهدايته صبح ساطع وماذا في وسع مبتغيه أن يقول فيه فهو كلام الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا وهو عالم الغيب والشهادة العليم الخبير ولنورد عن الاسترسال في الحديث عنه بعض الايات الكريمة التي تخبرنا عن عظيم فضله وفائق مزاياه وكامل معناه وأبدا بقوله تعالى

١ ـ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

نعم انه الشفاء النافع من الشكوك والاوهام ومن جميع الادواء المعوقة والعلل المشينة ومن لا يستشف به فليس له فيما سواه شفاء ومن لم يهتد به فليس له في سبيل الرشاد هاد من

العناء فهو حقا هدي للمتقين ودليل للمؤمنين وصراط مستقيم للمسلمين به يعرف الهدى من الضلال والحق من الباطل والصواب من الخطأ والعلم من الجهالة والنور من الظلام والمتقون هم الذين تنطبق عليهم أوصاف التقوى الذين يمسكون للحصول عليها بالسبب الاقوى وهم المؤمنون حقا والموقنون يقينا وصدقا والذين واكبوا بايمانهم عصور النبوءات من لدن ادم عليه السلام الى محمد عليه وعلى جميع الانبياء أفضل الصلاة والسلام ففازوا بهذه المواكبة بثواب أعمال الامم وكأنهم موجودون حقا مع لحظات الزمان من القدم جمعوا بين طرفي الامر والنهي وقاموا بهذا الجمع في مقام صاحب سلطان الميت والحي وهبوا جميع معاني الحياة الكاملة فولدوا بميلاد ايمانهم الجديد من بطونها وسرت فيهم معانيها الكاملة بجميع خصائصها وشؤونها تلك طبيعة الايمان لانه مادة الاكوان وروح الزمان وحلقة الوصل بين الازل والابد الجامعة لمعاني التقوى والايمان والعرفان والاحسان خافوا مقام ربهم فاستقبلتهم في الحياتين جنتان ففيهما كمالات الحياة التي لم تعرف النقصان جمعوا بين الحقائق واللطائف والرقائق ووضعوا أقدامهم على باب الجنة وقالوا هذه أرواحنا فاستقبليها وهذه حياتنا فاستبقيها لن نرجع عنك أبدا ولو قطعنا اربا اربا . وكيف نرجع عنك وأنت مأوانا وغايتنا في دنيانا وأخرانا ؟

وتسبيح ربنا وحمده فيك أول واخر دعوانا بل لقاء المولى عز وجل والنظر اليه غايتنا ومنتهانا .

٢ — واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم . — سورة آل عمران

أمر بدون استثناء ولا يخفى عليكم معنى الاعتصام بكافة صوره المعنوية والمادية والحسية والوجدانية والفكرية والتعبدية والعادية . وليس لكم الا هذا الاعتصام حصنا ووقاية لانه يدخلكم في حصن صاحب القوة والعناية لانه تمسك بمبادىء الحق المتين وارتباط قوي بأسباب العز الرصين وانضواء تحت سماء المنهج

المبين ولا تدخلوا فيه بالتجربة فان ذلك يتنافى مع طبيعة اليقين وفي اعتصامكم بالقران معنى الاتحاد والاتحاد كما علمتم قـــــوة لاتضاد وما من أمة اعتصمت بكتابها الا أعزها الله وكون ذاتيتها واعتنى بها واذعن لها الزمن وهابها وظلت مع الزمن فتية فـــي كهولتها وشبابها محفوظة بالرعاية ملحوظة بالعناية عزيزة المراتب مرهوبة الجانب طويلة الباع مميزة في الاخلاق والسجايا والطباع والاعتصام فيه السلامة من التفرقة لان التفرقة ضعف مهين وحال مشين وخسران مبين

٣ ـــ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبـــــل فتفرق بكم عن سبيله . ـــ سورة ألانعام

معنوية تتجلى في أروع صورها لانها تكتسب مقوماتها مـــن اتباع صراط الله المستقيم الذي يسير فيه السائرون على هدى من ربهم وبصيرة عبده لهم مولاهم فجعله سهلا ميسرا واضحـــــا في معالمه المنيرة لا يتنكبه البصير ولا يضل فيه مبتغي المسير أمـــام السائرين فيه رسول مبين ونبي أمين حمله الله تعالى

مسؤولية الامانة على سائر المتبعين وجلال قوة حفـــــظ الشريعة والامر والدين فاكرم به من صراط مستقيم يبدأ ببســـم الله ولا اله الا الله محمد رسول الله مركبه لاحول ولا قوة الا بالله وجنباته ذلك الفضل من الله ومتنه «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله» لايسير فيه الا من هداه الله ولا يتنكبه الا من جهله أعماه محطات استراحته أركان الاسلام ومعالم دلالته أركان الايمان ليس فيه تعثر بل هو نور وتبصر .

٤ ـــ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذيـــــن يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

---

(٧٧) ال عمـــران اية ١٠٢

(٧٨) الانفـــال اية ٢ ، ٣ ، ٤

حقا هم المؤمنون ، حقا في قلوبهم سكن الوجل من الله تعالى واستراح وحل فيها على الرحب والسعة فكان فيها علامة الفلاح والنجاح قراه سماع ذكر الله العليم الفتاح اذا ذكر الله تحـــرك القلب يقود الجوارح نحو اسباب الفوز والصلاح خوف تتفجـــر من معناه ينابيع المعرفة والحكمة وتتبلور في حقيقته معاني الشعور بالقيام بالمسؤولية بدون ابطاء ولا تهيب لان معنى الخوف مــن الله تعالى عدم الخوف ممن سواه لعلمهم من خلال هـــذا الخوف أن الله تعالى المالك وسواه مملوك وأنه المتصرف في ملكه كيــف يشاء وغيره ما يملك من قطمير ان منعه اياه وأنه النافع والضار وغيره لايملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وأنه المحيي والمميت وغيره ليس له من الامر شيء وأن الامة لو اجتمعت على الانسان على أن تنفعه بشيء لا تنفعه الا بشيء قد كتبه الله له وان اجتمعت على أن تضره بشيء لم تضره الا بشيء قد كتبه الله عليه وأن ما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن كل ذلك بيد الله تعالى وأنه تعالى وعد من أطاعه بالجنة وتوعد من عصاه بالنار وكل ما هو ات قريب فالوجل من الله من طبيعة الايمان والخوف ممن سواه من ايهـــام الشيطان والشيطان ليس له على عباد الله المخلصين المؤمنيين سلطان والخوف من الله حق وممن سواه باطل والخوف من الله قوة وممن سواه ضعف وذلة والخوف من الله شجاعة وممن سواه جبن ومضيعة وخلاعة كيف وقد قال عليه الصلاة والســـــلام « شر ما في المرء جبن خالع وشح هالع » فحرام على قلب المؤمن أن يوجل الا لذكر الله وأن يخشع الا امام سلطان مولاه وفي ذلك معنى الفضيلة التي هي حلية الابطال وجماع مكارم الاخـــــلاق الكريمة التي ترتفع بها همم الرجال .

ولـــا ملك الخوف من الله هذه القلوب المؤمنة الكبيرة علمها كيف تتشوق الى سماع اياته العظيمة لتصل بذلك الى ما تشرئب اليه اعناق أصحابها من الوصول الى ذروة السعادة في الداريـــن فاذا تليت ايات الجهاد بادرت الى صهوات الجياد وانطلقت الى

أهل الشرك والبغي والعناد لا تلوى على شيء حتى تنقذ البلاد والعباد فاما النصر واما الشهادة واذا تليت عليهم ايات الحلال والحرام تركوا جل الحلال مخافة الوقوع في الحرام وأنفقوا من خالص الحلال جل ما يقع في ايديهم بدون تريث ولا اهمال نفوسهم سخية وأكفهم ندية جبلوا على السخاء وتعلموه من سيد الانبياء الذي قال لهم « السخاء خلق الله الاعظم » واذا سمعوا ايات الرحمة تتلى عليهم ازدادوا بايمانهم ثقة بالله وعظم رجاؤهم في سعة رحمة الله وحسبوا لمولاهم ألف حساب وحساب وهكذا جميع ايات القران الكريم اذ كل اية منه كافية لان يكتسبوا بتلاوتها عليهم كامل الايمان وأما انفاقهم من ما اتاهم الله من فضل فليس له حدود فايمانهم رصيد روحاتيتهم ينفقون منه للوصول في معارج الهدى الى رحمة مولاهم وأموالهم يرصدونها في خزانة ثوابهم اذا انفقوا فرحوا واستبشروا وارتاحوا واذا فقدوا صبروا وسعوا في أسباب الحلال وغدوا وراحوا فهم اخوة في السراء والضراء وأسوة لمن بعدهم في الخير والتضحية والفداء ولما اتصفوا بهذه الصفات الظاهرة والباطنة وتحلوا بهذه الاخلاق الكريمة الفاخرة أخبر عنهم القران بانهم المؤمنون حقا وأن جزاءهم « درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

٥ — ان هذا القران يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا »

يؤكد سبحانه وتعالى ان القران الكريم يهدي الناس للطريق القويم والطريقة الصحيحة القويمة التي هي أشد واعدل وأصوب من غيرها اذ هي الصراط المستقيم الذي يتسع لجميع الخلائق لو ساروا فيه دون أن يختلف فيه اثنان .

قال بعض العلماء معنى «للتي هي اقوم» — أي — الحالة التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله والايمان برسله لانه بالتوحيد تتوحد القلوب وتتحد المشاعر وتتالف الارواح وتنتفي عن مظاهر الحياة علامة الجفاء وبوادر الخلاف ولن يستطيع أحد من الناس أن ينفرد وحده في ميادين الحياة اذ لابد من أن يكون

مندمجا في حقيقته التي « هي أقوم » وتلك سنة الله في مجامع الخير الى التمسك بتعاليمه وطبقوها بحذافيرها على انفسهم واسرهم وحقيقته وما أن عرف المسلمون أهداف القران الكريم حتى اذعنوا لامتثال اوامره وبذلك تمت لهم السعادة وظفروا بأسبابها . وتغلبوا على جميع الصعوبات والعقبات التي كانت تعترضهم والقران الكريم كما لم يزل وحتى قيام الساعة عنوان السعادة وهداية النفوس ونور القلوب ومادة الحياة ومنهج الخير والعدل والطهر والتشريع فقد جعله المولى عز وجل كتاب الزمان والمكان فكل فرد له فيه نصيب كبير وكل اسرة لها فيه شأن منير وكل مجتمع له فيه خير كثير والحياة حقا لا تستقيم الا به لانه «يهدي للتي هي أقوم»

٦ ـــ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيمـــا ـــ أول الكهف

حمدا لك يارب على هذه النعمة الدائمة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تحول ولا تزول لك الحمد اللائق لعظيم جلالك ودوام سلطانك وبقاء ملكك لك الحمد على جميع هباتك على جميع عبادك حمدا كما نقول وخيرا مما نقول وبجميع محامدك التي حمدت بها نفسك وأثنى بها عليك جميع خلقك حمد الدنيا والاخرة أنزلت على عبدك الخاضع لامرك الكتاب وجعلته قرانا عربيا لا عوج فيه يصحح اعوجاج الفطر التي امالتها رياح الاهواء فسمت بها مستقيمة في افاق السماء ومنحتها كل خصائصها لتظل مستقيمة أبدا محفوظة من من الاعوجاج والانحناء « ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » يضمن للنفس الاستقامة ويحقق لها أسباب السلامة كما قال تعالى «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » من أي شيء يخاف أهل الاستقامة ولاي شيء يحزنون فالمستقيم على أمر الله باستقامة القران الكريم استقام والنفس بهذه الاستقامة امنة من تقلبات الايام وقد كانت قريش قد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمور ثلاث وهم يعلمون أنه لا يجيب عنها الا نبي مرسل وهي « فتية الكهف

والرجل الذي طاف الارض وملكها والروح » فقال لهم عليه الصلاة والسلام وعلى ما ذكر لم يقل ان شاء الله فزعم الزاعمـــــون أن الوحي تأخر عنه مدة خمسة عشر يوما حتى قال المتقولون مـــا قالوا مما أحزت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان جبريــل عليه السلام جاء بسورة الكهف الشريفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل الاجوبة الصحيحة والاخبار العجيبة والانبـاء الرهيبة فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان عليـه من غم لتأخر الوحي عنه وأخبره جبريل عليه السلام بلسان الحق جل وعلا « وما نتنزل الا بأمر ربك » يا محمد ولم يقل بأمر ربي وفي ذلك اشارة بديعة الى أن ربك يا محمد على اتصال دائم بـــك وأنه لم يغفل شأنك لحظة من اللحظات فاتل على الفور ما اوحي اليك من ربك لعلهم يتذكرون او يتقون وابدأ بقول ربك « الحمـد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما .. »

ليعلموا أن اخبارك لهم عما سألوا على لسان الحق جـل وعلا الذي لم يجعل لمـا انزل عليك «عوجا» بل هو قيم في معناه ومبناه ينطق بالحق ويخبر بالصدق أما قصة أصحاب الكهف فهي من أحسن القصص القرانية وأعجبها وأطيبها وأعذبها لمـا فيهـا من عجائب الاخبار عن ما حصل مع الفتية الاخيار الابرار .

وأما الرجل الذي طاف الارض وملكها فهو ذو القرنين الذي مكن الله له في الارض واتاه من كل شيء سببا وهو رجل مـن الصالحين وأولياء الله المتقين لايزال أثره في الارض باقيا حيـث منع يأجوج ومأجوج من الخروج الى الارض ولولا ذلك لاتى أهل الارض ما يوعدون « فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا » ويلتقي انجاز الوعد في ذلك بزمن عيسى بن مريم عليـه الصلاة والسلام ليدعو على يأجوج ومأجوج بعد خروجهم ولتستريح الارض من شرهم فيموتون موتة نفس واحدة فتدبر والله يلهمك الصواب .

وأما الروح فهو قوام هذا الهيكل الانساني لولاه لظل كغيره من الجمادات التي ليس لها معنى في وجودها . الا ما هي عليـه

من حال الجماد لكن بالروح قام واعتدل واستقام وظهر على ظهر الارض في أحسن تقويم ولكن ظلت معاني هذا الانسان بحاجة الى مادتها وهي روحانية روحانيتها وهو القران الكريم الذي قال الله عنه « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » ليقوم الامر بالامر اذ الروح من عالم الامر والقران فيه معنى حفظ هذا القيام

فسرت معاني استقامة معناه في معاني الروح فقام بالعمل على استقامة جسده الذي هو مبناه وتحقق بذلك استقامة المعنى والمبنى على قواعد هذا الامر فهل لمن يقدر للقران قدره أن يصحح اعوجاج نفسه به اذا ما راها مالت به ذات اليمين أو ذات الشمال ؟ هل له أن يقول « القران ليس فيه عوج بل هو قيم في حقيقته حقيقة الامر » فعلي أن استقيم معه؟ اللهم وفقنا يا كريم يا حليم يا رحيم .

٧ — الله انزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد

ولنقف من هذه الاية الكريمة عند قوله تعالى «أحسن الحديث» وهذه الصفة من صفات القران الكريم التي جمعت معاني الحسن اللفظي والبلاغي والتعبيري وليس لمعاني هذا الحسن الجامع لصفات الكمال حد « يقف عنده الواصفون ولا لجمال صورة البلاغة صورة محددة يحيط بنعتها الناعتون بل كلما انتهى الفكر من وصف بديع انكشف له من معان حسنة من جديد ما يعجز عن الاحاطة بوصفه الجميع فمن خصائص هذا الحسن أنه اذا سرى في نفس الانسان معناه أخرج منها اثر حب كل ما سواه ثم يأخذ في بلورة النفس والقلب والروح فيشرق الكل اشراقة تكشف لكل منها معالم الهدى والمعارف واللطائف والحقائق بوضوح فتكتمل في الانسان صورة المعنى والمبنى وتتوارد هذه الصورة المؤمنة معاني أسماء الله الحسنى بما فيها من جمال وجلال وكمال فتعشق

ذلك كه بأحسن حال ويرتقي الانسان بهذا التعشق في معـــارج القرب والكمال وتصبح صورته تتكامل بالصورة المحمدية شيئـا حتى تتجسد في الحقيقة بكامل معناها فيأتنس بها كل من يشاهدها ويراها وتتبهج لها كل نفس يبدو له ويراها .

هذه بعض اثر هذا الحسن البديع وحقا انه «أحسن الحديث» لانه كلام الحق جل وعلا الذي لا يوصف بحرف ولا صوت ولكنــه جرى بأذنه على السنة عباده بلفظ لا يوصف بحدوث لانه تعبير بديع « يدل الفكر على المعاني والمعاني تسري في حقيقة المتشابهة والمثاني وليس لذلك حد » في التعبير ولا الالتماس يحس بحاسة التفكير .

واي حديث « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » مثل هذا الحديث « ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » ذلك لانــه كما قال الله تعالى عنه « لو انزلنا هذا القران على جبل لرأيتــه خاشعا متصدعا من خشية الله » .

فلو أن كل واحد أخذ نصيبه من معنى هذا الحديث الــذي « هو أحسن الحديث « .. لاتحدث المفاهيم على حقيقة التعبير عنه ولا نتفى عنها أثر الخلاف الى اتحاد المفاهيم اتحاد القلــوب واتحاد القلوب اتحاد الارادة واتحاد الارادة يصل بالكل الى بلوغ المراد .

ومن هنا تعلم عظيم الفوائد لتعلم أن الذي « ليس في جوفه شيء من القران الكريم كالبيت الخرب » وأن الذي يستظهـــره فكانما أدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحي اليه فاللهم اجعل جميعا من أهل القران ومن علينا بالتعبد الحق بتلاوته يا حنـــان يـــا منـــان .

هذه لمحات جرى استعراض بعض معناها في ميدان الفكر فبرزت وفيها بعض التقويم للذاتية الانسانية بسهولة ويسر والعباد بحاجة الى كتاب فيه معنى هذا التقويم فالانتفاع بالقران فيه كفاية الزمان والمكان لجميع بني الانسان سيما في اخر الزمان الذي فيه

يحتاج الى وافر الايمان ولذلك سنقف عند بعض نصوص السنة المطهرة لنعرف بذلك كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص على أن تظل الامة الاسلامية متمسكة بتعاليم دينها القويم لتنجو في الدنيا والاخرة من كل كـرب عظيم ولتظل مستقيمة علـى الصراط المستقيم .

١ ــ عن أبي شريح الخزاعي قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أليس تشهدون أن لا اله الا الله وأني رسول الله ؟ قالوا بلى . قال : ان هذا القران طرفـه بيد الله وطرفه بأيدكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكـوا بعـده أبـدا »[(٧٩)]

٢ ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال : ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلـك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه ــ الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وله أصل في الصحيح .

في هذا الحديث بيان واضح يبين ان اثار الضلال والكفـر وتمويه الشيطان واغواءه قد محا أثره نور الايمان المكتسب مـن هداية الله تبارك وتعالى والتي جاء بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو معروف من أن الجاهلية الاولى قبل الاسلام

---

(٧٩) اي هو بين الله وعباده معناه : الله تعالى الذي أنزل القران يحيط بحركات عبده المأمور ويشمله برحمته ويتطلب العمل بكتابه ليثيبه فمن قرأ القران باخلاص تظله السكينة ويرعاه الله فعلى المسلمين أن يتدبروا معناه ويفقهوا أوامره ويستضيئوا بنوره ليبعد عنهم الزلل والضلال وفيه الحكم والمرشد الى الصواب والراعي الى الحق ومكارم الاخلاق وقد قيل : فضل القران على سائر الكلام معروف غير مجهول وظاهره غير خفي يشهد بذلـك عند المتعاطين ووهن المتكلفين وهو المبلغ الذي لا يمل والجديد الذي لا يخلق والحق الصادع والنور الساطع والماحي لظلم الضلال ولسان الصـدق النافي للكذب ومفتاح الخير ودليل الجنة اذا أوجز كان كافيا وان أكثر كان مذكرا وان أمر فناصحا وان حكم فعادلا وان أخبر فصادقا سراج تستضيء به القلوب وديوان الحكم وجواهر الكلم .

كانت تعبد الاوثان والطاغوت والشيطان وتتبع سنن الكافرين والملحدين والضالين ولما جاء الاسلام وسطع نوره بين الانام أخذ يطارد أثار الجاهلية ويخرجها من أوكار النفوس التي كانت مكمنا للشيطان وجنوده ويطهرها بانتصاره عليها نفسا نفسا حتى اصبحت بعد أن كانت مناصرة للاوثان حربا عليها ومناصرة للحق وظلت تطارد شياطين الانس والجن ممن لم يستجيبوا لداعي الله حتى محت اثارهم من ارض النبوة في المعمورة كلها وخاصة الجزيرة العربية التي ثم تطهيرها قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك اطمأن رسول الله عليه الصلاة والسلام على أمته وديار الاسلام حيث انتهى عهد الضلالة والغواية والفساد وأعلنها صلى الله عليه وسلم صريحة في اخر عهد حياته في حجة الوداع قائلا : « ان الشيطان قد يئس أن يعبد بارضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك » — أي — كالرياء في العمل والبدع في العبادات والاعتقادات كون فلان بيده النفع والضر والتهاون في كسب الذنوب الصغائر منها والكبائر وغير ذلك مما هو معروف لدى الخاص والعام . ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كله وقال مبينا ومؤكدا أن المسلمين في كل زمان ومكان لن يحفظهم من الانزلاق في الذنوب والمعاصي التي هي دون الشرك الاعظم الا الاعتصام بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فما داموا معتصمين بهما فهم في مأمن من هذا الانزلاق وأما اذا أهملوا شأن هذا الاعتصام فانهم لايضمنون لانفسهم ولا لدينهم ولا لدنياهم ولا لعقيدتهم سلامة ولا فوزا ولا نجاحا فتحذير النبي صلى الله عليه وسل جاء يحمل معنى النصح لكل مسلم ومسلمة ولكل اسرة من أسر المسلمين ولكل شعب بل وللمسلمين جميعا دون استثناء .

٣ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نزل القران على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا الحلال وحرموا الحرام واعملوا بالحكم وامنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال »

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القران من سبعة ابواب على اسبعة احرف زاجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وامنوا بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند ربنا » .

عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا : « أنزل القران على اربعة احرف حلال وحرام لايغذر أحد بجهالته وتفسيره تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب وروى موقوفا بنحوه .

ألا انما القران تسعة احرف
سأتيكها في بيت شعر بلا خلل
حلال حرام محكم متشابه
بشير نذير قصة عظة مثل

فالاثار تبدا بعد حجة القران «من أربعة الى خمسة الى سبعة » الى تسعة .

اخرج الترمذي عن علي كرم الله وجهه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت : يا رسول الله وما المخرج منها قال : كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تتشعب معه الاراء ولا تشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنتهه الجن اذ سمعو أن قالوا : « انا سمعنا قرانا عجبا » من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل

ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم »
خذها اليك يا أعور — أي — قالها علي كرم الله وجهه للحارث الهمداني وهو من أصحابه .

والفتن المشار اليها في هذا الحديث الشريف هي أشراط الساعة بكافة أنواعها والتي مر ذكرها كل في مكانه من هذا الكتاب والى أن يرتفع القران من الصدور والسطور ولنقف عند كل عبارة من هذا الحديث الشريف لنعرف باختصار ما ينطوي عليه من معان سامية مفيدة ان شاء الله فأقول .

قوله صلى الله عليه وسلم : « فيه نبأ من قبلكم » أي اخبار الامم السابقة من هلك منهم ومن نجا وما سبب هلاك من هلك ونجاة من نجا وهو واضح من قصص القران الكريم التي تتحدث عن كل نبي مرسل والامة التي أرسل اليها كما هي مفصلة تفصيلا كاملا وفي ذلك دروس وعبر لكل عبد مدكر فيأخذ الانسان بأسباب النجاة وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر والعمل بأركان الاسلام وشرائعه وأخذ الحلال وترك الحرام والاستقامة على المبدأ الحق وترك اسباب الهلاك وهي الكفر والظلم والترف والجور والافتراء والفتن والاعوجاج والركون الى الدنيا والجهل بأمور الدين وترك العمل للاخرةالى غير ذلك مما ليس له في دين الله سناد قوله صلى الله عليه وسلم «وخبر من بعدكم» والمعنى : أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثكم عن اخبار الساعة وجميع الفتن الى يوم القيامة ويحذركم منها لتسلموا كما سلم المسلمون الاوائل — أوهو — ما أخبر عنه القران الكريم من أشراط الساعة الكبرى من ظهور الدجال بعد المهدي ونزول عيسى عند ذلك وخروج يأجوج ومأجوج حتى اخر علامة من علامات الساعة الكبرى كما تقدم

وقوله صلى الله عليه وسلم « وحكم ما بينكم » واضح غاية الوضوح يفسره قوله صلى الله عليه وسلم « من حكم به عدل

قال تعالى : « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس

بما اراك الله »[80] ففي قوله تعالى « بما اراك الله » دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم » معصوم من الخطأ في الحكم لان الله تعالى يطلعه بوحيه على وجه الصواب فالحكم في القران يضع الحق في مواضعه ويشمل الحكم كل صغيرة وكبيرة من الحكم المتعلق بالردة والعياذ بالله الى الحكم المتعلق بالاموال والمظالم وجميع الامور قلت أو كثرت جلت أو صغرت قال الله تعالى « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاء من الحق »[81] وفي ذلك دليل على أن الحكم بغير ما أنزل الله أتباع لاهواء الكافرين الزائغين وقال الله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »[82] فانظر كيف نفى عنهم الايمان الصحيح الصادق بسبب عدم اذعانهم لحكم الله ورسوله كما قال تعالى « واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون أفي قلوبهم مرض أم رتابوا أم يخافون أن يخيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ، انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا أولئك هم المفلحون »[83]

وقد أهمل المسلمون الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « لتنقضن عرى الاسلام عروة ، عروة كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولها نقضا الحكم واخرها الصلاة » رواه احمد وغيره عن أبي أمامه وياليت المسلمين قاموا باداء الصلاة على الوجه الاكمل المطلوب من الشرع الشريف فقد الخشوع من الصلاة والكثير يصلون ويأكلون الربا ويشربون الدخان ويسمحون لنسائهم وبناتهم أن يخرجن بزي مخالف لزي الاسلام وكثير منهم مستغرق بالغيبة والنميمة وشهادة الزور واللهو واللعب وغير

---

(٨٠) النساء اية ١٠٥

(٨١) المائدة من اية ٢٨

(٨٢) النساء اية ٦٥

(٨٣) النور ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

ذلك مع أنهم يؤمون المساجد ويصلون ، ونسوا قول الرسـول صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته .. فلا صـلاة له » ــ أي ــ أن صلاته ناقصة في معناها لخلوها من الخشوع والهيبة والتفكر والتدبر وغير ذلك من مقوماتها الروحية والوجدانيـة والمعنوية التي لاتتم اقامتها الا بها والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ويرجع حدوث النقص الى عدم كفاءة الأئمة في المساجد والى اهمال الامة أمر الدين لانهـم يهملون حمل بعضهم بعضا على تطبيق تعاليم الاسلام . وتدريس القران الكريم تدريسا كاملا ليتم تنشئة الاجيال تنشئة اسلاميـة صحيحة وقد وصل الامر باستخفاف بعض الائمة الى أن يشرب الدخان ويدمن عليه وأن يحلق لحيته ويتزيا بزي الاجانب، ويكتفي بأنه يحمل اسما انتسب اليه مع ما فيه من عدم كفاءة واهمال فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظم .

قوله صلى الله عليه وسلم « هو الفصل ليس بالهزل » ــ أي ــ فصل في الامور كلها كبيرها وصغيرها خفيها وجليها سواء كانت دنيوية أو دينية أو اخروية أو عقائدية أو ايجابية أو سلبيـة وهو مأخوذ من قوله تعالى « انه لقول فصل وما هو بالهزل » فهو يفصل في الامور بالحق والصواب والعدل والقسط ولان أمره جد لاهزل فيه وحاشا للقران الكريم أن يرضي بأدنى حالة من حالات الهزل والله سبحانه وتعالى يقول عنه « ليظهره على الدين كله » ومعلوم أن الهزل لا يفعل شيئا مفيدا ولا يحقق أهدافا سامية وكم حقق القران الكريم من أهداف سامية عجز عن تحقيقها أرباب القوى والسلطان ومظاهر الجد تبدو على جميع اوامره ونواهيه في كل زمان ومكان وليس لصاحب الهزل في تعاليمه موضع قدم . قوله صلى الله عليه وسلم « من تركه من جبار قصمه الله » ايذان لمن يتركه بأنه على مدرجة من العقوبة كما هي سنة الله تعالى لان الجبابرة يفسدون في الارض ولا يصلحون ويجعلون من أنفسهم طواغيت يدعون الناس الى موافقتهم في كل ما يقولون ويفعلون فمن وافقهم قربوه وأدنوه ومن خالفهم أبعدوه وأقصوه وحرموه

وهذا النوع من البشر الغير مؤمنين في كل زمان موجود وكم من جبار قصمه الله بعد أن تطاول على سلطان الله تعالى فبدلا من أن يقول للعباد أنا وأنتم من عباد الله ونحن واياكم في ملك اللـــه قال لهم : أنتم لي بمنزلة العبيد والملك ملكي والامر أمري ولي الحق في أن أحكم على عباد الله بما أشاء وأما دعواه فهي مردودة كما قال تعالى « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » وعندما يطبع على قلب الانسان يصبح غير صالح لقبول الحق وان كان أحلى من العسل وأعذب من السلسبيل وأوضح من نهار بين لانه يستحب العمى على الهدى واذا أردت الاستزادة فارجع الـــى أخبار السالفين من الامم الغابرة والى تاريخ الظالمين والجبابرة كما قال تعالى « فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » . ـــ سورة القمر

قوله صلى الله عليه وسلم « ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله » مأخوذ من قوله تعالى « ومن يبتغ غ يرالاسلام دينا فلـــن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين[٨٤]

وقد نزلت هذه الاية في «الحارث بن سويد» وكان أخـــا للجلاس بن سويد وكانا من الانصار ارتد عن الاسلام هو واثنا عشر رجلا معه ولحقوا بمكة كفرا فنزلت هذه الاية ثم أنه أرسل الى اخيه يطلب منه التوبة ولمـــا نزل قوله تعالى « الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم » بعثوا بها الى مكة فلما قرئت قال الرجل المرتد والله ما كذبني قومي على رســـول الله صلى الله عليه وسلم ولا أكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أصدق الثلاثة ثم رجع تائبا فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه وقيل نزلت في غيرهم والله أعلم وحاصل القول : أن الذي يبتغي الهدى في غير القران الكريم انسان يحكم عليه الاسلام بالاشراك بالله تعالى ولا يحدث هذا من مسلم أبدا لان المسلم على بينة من ربه وكم حاول المشركون أن ينالوا من ايمان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة بعـــد أن أذاقوهم اليم العذاب ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا ما هو أدنى

---

(٨٤) ال عمـــران ايـــة ٨٤

من مثقال ذرة لان الانسان عندما يكون على هدى من الله تعالى يكون مرتبطا ارتباطا مكينا فالحق والقوة والمنعة والثبات فـــلا يستطيع أحد من الناس أن يضله أما الذي يبتغي الهدى من غيره فهو على غير هدى من الله تعالى وبذلك يقع في الضلالة ويكون في عداد الذين ضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وكم في القران الكريم من ايات تخبر عن نفس القران الكريم بأنــــه «هدى للمتقين» وبأنه «هدى ورحمة» فهو الهدى حقا ولا يتصور أن هناك من يهدي الى الحق غيره أبدا اذن فطالب الهدى في غيره يشتري الضلالة بالهدى وبذلك يظل من الضالين والضلالة لا تكون ضلالة الا اذا كان الانسان يحمل معتقدا «فاسدا» والعياذ بالله والمسلم لا يحمل الا الاعتقاد الصحيح فتدبر .

قوله صلى الله عليه وسلم « هو حبل الله المتين » مأخوذ من قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ويسمي القران حبل الله من باب التشبيه المعنوي وليس التشبيه الحسي المادي لوجود الفارق بين الحبل المعنوي والحبل الحسي المادي لان الحبل المعنوي مضمون البقاء متوفر القوة دائما وأبدا بخلاف الحبل الحسي المـــادي فانه معرض للتلف والنقض من بعد قوة لكن وجه التشبيه في هذا ليس الا لكون الحبل ذا طرفين لا يقبل التثليث فيما اذا كان طرفه العلوي مرتبطا بعروة وثيقة متينــة متصلة بمتانتها بأجزاء الجبل الاشم مثلا وكان الانسان في هـــوة سحيقة وطرفه بيديه استطاع الانسان انتشال نفسه من الهـــوة السحيقة الى السبيل الذي يوصله دار مأمنه بسلامة وهذا مـــا عبر به الحديث الشريف المتقدم حيث قال « طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا .. » تقدم الحديث والتعليق عليه

الم يكن العرب في جاهليتهم قبل الاسلام في هوة سحيقـــــة رمتهم فيها وبغير رحمة اثار الجاهلية العمياء وكبكبتهم فيها معـــا وأشتاتا ولم يجدوا وقتئذ الا من كان لا يستطيع أن يمد لهم يـــدا ليغيثهم أو لينقذهم منها وفاقد الشيء لا يعطيه لكن لمـــا أنزل الله

تعالى من عليائه هذا الحبل وقال لهم خذوا بطرفه بأيديكم القوية وسواعدكم الفتية وارقوا من أعماق هوتكم ولا تخافوا لان طرفه العلوي بيدي وثقوا بمتانته وارتقوا به افرادا وجماعات حتى اخر رجل منكم وقد خرجوا بسببه من ظلمة تلك الهــوة وضيقها الى نور الاسلام وسعة الحياتين .

قوله صلى الله عليه وسلم «ونوره المبين» وللقران اسماء كثيرة منها هذا الاسم «نور» قال تعالى « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » وهذه العبارة ماخوذة من هذا النص القراني الكريم فالقران الكريم حقا هو النور المبين هو نور القلوب وسراج العقول بل نور كــل موجود وسراج كل غائب ومشهود « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » . نور أوقده الله تعالى «في قلوب عباده المؤمنين» فأضاءت به جنبات نفوسهم ثم انطلق النور يسعى بين أيديهــم وبأيمانهم يضي لهم سبيل الحق أينما ساروا وحيثما كانوا فهــو كما قال تعالى « كمشكوة فيها مصباح » المصباح فيزجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نــور على نــور » وهل هناك مثل مثل هذا المثل يصف نور الايمان في القلوب عــن طريق مثل هذا التمثيل حقا انك لو وضعت هذا المصباح الحصين الدائم الاتقاد في مهب الرياح فانه يظل متقدا كما هو في ذاتيتــه المشعة ومادته المضيئة قبل أن يستخدم للاستصباح في هذا المصباح المركب من أصفى أنواع الزجاج حتى لو طفت به الارجاء وطرت به بين الارض والسماء ثم انك لاتجد مضادا ينقصه ولا سببــــا يضعفه انظر قوله تعالى « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههــم ويأبى الله الا أن يتم نوره . . » . وقوله تعالى « والله متم نوره » وقد أضافه النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى اضافة حقيقية لانه كلام الله وكلامه تعالى نور على نور فالحق عز وجل نــــور وكلامه نور أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وهو نور ثم استقر في القلوب النيرة المنيرة المستنيرة فهو في قلوب المؤمنين

نور ومصباحه الاول الحافظ له في السماء المدد الالهي وزجاجته الاولى الحقيقة وزجاجته الثانية الشريعة وزيتونته شجرة الوجود ومادته عصارة وخلاصة هذه الشجرة قوله صلى الله عليــــه وسلم « والذكر الحكيم » وهما اسمان من أسماء القران الكريم قال تعالى « ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم » وجـــاء بعد أن قص القران الكريم على الناس خبر عيسى عليه السلام منشأه ومولده ومبعثه ومعجزاته ودعوته ورفعه الى السمـــــاء وكان أمر عيسى عليه السلام مسألة من المسائل المتعلقة بالمعتقدات حيث كانت عقيدة كثير من الناس في أمر عيسى عقيدة فاســـدة ليس لها اتصال بطرف الحقيقة لانهم قالوا في امره كلمة الكفــر وانقسموا في شأنه على أنفسهم فهم كما أخبر عنهم القـــــران الكريم في سورة المائدة وغيرها لكنه ـــ أي ـــ القران الكريم جاء يخبر عن عيسى عليه السلام بأسلوب يأخذ بالالباب ويدهش العقول ويبعث في النفوس بوادر الاريحية وبالتالي ينتهي بها الى القناعة التامة بأن مثل عيسى عليه السلام « كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » وقد تعلق به حكم الايجاد أن يأتي بلا أب كما تعلق حكم الايجاد بادم أن يأتي بلا أب ولا أم ويوم جاء ادم عليــــه السلام لم يكن هناك بشر يذكر اذن فروائع جلال هذه الحكمــــة الحكيمة تتجلى في حقيقة هذا المثل اذا كان الله تعالى جاء بادم بدون أب ولا أم فهو « ذكر حكيم » يبعث النفوس من غفلتها ويوقظها من نومتها ويذكرها بزلتها ويجعلها عالمة حكيمة تدخل مع الامور بحقيقة التذكر والحكمة قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والســـلام «لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم» وقال تعالى «وانه لذكر لـــك ولقومـــك» « فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى » واي شقي أشقى من الذي يجرد الحق جل وعلا من الوهيته وسلطانه وينقلها بزعمه الى الذي لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا والكلام في هذا يطول .. اه

قوله صلى الله عليه وسلم « وهو الصراط المستقيم » وهو في غاية الوضوح حيث ذكر الصراط في القران في عدة مواضع في فاتحة الكتاب « أهدنا الصراط المستقيم » وفي سورة النساء « ويهديهم اليه صراطا مستقيما » وفي سورة الانعام « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه .. » وفي سورة يوسف عليه السلام « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله .. » وفي سورة يس « انك لمن المرسلين على صراط مستقيم » وفي سورة الشورى « وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض .. » وهناك مواضع اختصرتها وهي معروفة فالصراط المستقيم الذي لا عوج له لانه يقوم الامور في النفوس على حقيقتها ويسير بالناس في ظل منهج واحد على هدى من الله وبصيره فلا ميل ولا زيغ ولا عمى ولا ضلالة ولا تنكب ولا نصب ولا عناء ولا ضيق ولا انحراف ولا تعثر ولا شك ولاتخلف ولا حيرة ولا توقف والسير فيه بثبات من بدء الحياة الى الممات ينتهي بالانسان الى الاخرة بفطرة مستقيمة نقية طاهرة سليمة ثم من قبره الى قصره لتتم له السعادة الابدية ويدخل في الحياة الكاملة السرمدية .

قوله صلى الله عليه وسلم « وهو الذي لاتزيغ به الاهواء » والاهواء تنقسم الى قسمين الاول يميل بالانسان الى الحق والثاني يميل به الى الباطل والذي يميل الى الحق موحد والذي يميل الى الباطل مفرق فأهل الحق متفقون على هوى واحد وهو الميل الى الحق وأهل الباطل منقسمون على أنفسهم كل يحمل هوى يختلف به مع هوى الاخرين ولذلك فأهواء أهل الحق مجسدة في معنى الحقيقة تجسيدا صحيحا وبحكم هذا الميل الى الحق يتحقق الارتباط بمبدئه الواحد الصحيح وهو مبدأ التوحيد الذي يجمع القلوب ويوحد المفاهيم والشعوب لان أهواء أهل الحق تتصرف حسب مقتضى أهداف الايمان السامية ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وأول أهداف الايمان جمع القلوب على حقيقة التوحيد وبذلك

يتحقق توحيد الاهواء فتتم وحدة المسلمين وينطبق عليهم معنـــى « كالجسد الواحد » « وكالبنيان يشد بعضه بعضا » فالقـــران الكريم من عند الله موحد في معناه وأحكامه واهدافه فما دامـــت الاهواء معه ومع تعاليمه فهي بتعاليمه دائما مستقيمة بعيـــدة عن الزيغ والزلل .

قوله صلى الله عليه وسلم « ولا تلتبس به الالسنة » لانـــه لايشبه كلام البشر وفي غاية الوضوح في اسلوبه ونظمه يسهـــل على القارىء قراءته على حقيقته حتى ولو كان اللسان غير عربي فانه ينسجم معه انسجام النور في خطه المستقيم قال تعالى « وهذا لســـان عربي مبين » وهو كفيل بسلامة الالسنة من الملابســـات والاخطاء بل انه كفيل بتقويمها واعطائها صفة التقويم أبـــدا فكلما كررته بالتلاوة كلمـــا ازدادت فراسة وتقويما ولســـان المؤمن وراء قلبه فهو لا يترجم الا عن معنى الحقيقة المستقرة في قلبه وليس ثمة مجال لغيرها فيه فمثله في حالته هذه كمثل الناظر بعيينه الى ما فيه وسواء قراه الانسان في سطوره وفي صدوره فهو كما قال المولى عز وجل « بل هو ايات بينات في صدور الذين أتوا العلم » وبما أن اللسان يهوى الفصاحة ويتعشقها وينسجم معها فانه يلتزم العبارات القرانية التزاما يتناسب مع تطلعه الى الانسجام مع فصاحة القران الكريم وبذلك يسلم مـــن الالتباس وينطبق عدم الالتباس كذلك على تأويل المعنى القراني لانه كتـــاب أحكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

وقوله صلى الله عليه وسلم « ولا تتشعب معه الاراء » والاراء جمع راي والراي عبارة عما يراه الانسان في نظره صوابا حتى ولو كان الانسان مخطئا في رأيه فهو في نظريته الفاسدة يظن الخطأ صوابا وأما صاحب القران فليس له معه رأي الا ما يعرفه من تصويبه للامور على حقيقتها فهو يحكم هذا التصويب يجمع الاراء كلها على معرفة الحق الغير متشعب .

ولمـــا توحد راي المسلمين به حفظهم الله تعالى من الاختلاف او الاجتماع على ضلالة ولا يعني تعدد المذاهب الفقهية أن هناك

خلافا في الاراء وليس كذلك فان المذاهب انما دونت لبيان وجوه الشريعة الاسلامية المسفرة عن جمال التشريع الاسلامي ليتعشق كل انسان مع المقلدين ما يحبه منها أما العقيدة فهم متفقـون على توحيد معناها توحيدا يتناسب مع حقيقتها حتى مع وجـود مسائلها الكثيرة لان مسائلها ليست كمسائل الفقهه وخلاصـة القول أن اراء المسلمين موحدة لانها تجتمع على بيان مسائـل التشريع بيانا يتناسب مع تعدد وجوهها وليس ثمة مجال لمعنـى الاختلاف في الاصول والعقيدة حتى ان اراء المؤمنين في العقيـدة متفقة على صحتها من لدن ادم عليه السلام الى محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين .

وقوله صلى الله عليه وسلم « ولا تشبع منه العلماء » دليل على أن للعلماء في أفكارهم ميادين واسعة ليس لها حدود وأن في قلوبهم خصائص القابلية اللامنتهية لتوالي استيعابها لمعانيه ولانه يحتوي على مادة الحياة المنمية للشخصية والمواهب والشـعور والوجدان ولانها مادة حلوة عذبة ذات خصائص شهية في ذوقها وتذوقها من شأنها أن تزيد الانسان في لمحات الحياة توقا الـى معرفتها وتناولها من فنن دوحتها ورصدها في خزانة الفكر الغير محدودة وفي خزائن المعارف القلبية اللامنتاهية قال تعالى لنبيـه صلى الله عليه وسلم « وقل رب زدني علما » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني الى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم »(٨٥)

قوله صلى الله عليه وسلم « ولا يمله الاتقياء » وهـذه العبارة قريبة المعنى من أختها الانفة الذكر لان العلماء هـم الاتقياء والاتقياء هم العلماء وكلاهما عالم عامل يطلب العلـم بالتقوى ويحصل على التقوى بالعلم مع حرصهم الشديد علـى انفاق الوقت فيما يقرب من الله تعالى بهم وكم في القران الكريم من ايات كريمة تشيد بذكر العلماء والاتقياء العاملين وترفعهما الى

---

(٨٥) رواه الطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عدى عن عائشة رضي الله عنهـا

الدرجات العلى في الدنيا والاخرة « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » كيف لا وامام العلماء الاتقياء حبيب الله الاعظم ورسوله المكرم هو قائدهم ومعلمهم وأسوتهم وهو القائل « اتلوه فان الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات » ؟ وبما أن قارىء القران بعلم وتقوى وتدبر وتفكر واعتبار وتشوق وتذوق واستحضار لعظمة الله تعالى وجلاله طمعا في رحمته وعفوه يزداد أنسا بمولاه حال كونه مستغرقا بمناجاته قرير العين بما يتحفه من هباته فانه ينفق في تلاوته جل أوقاته ولا يمله ولو قرأ في كل يوم او في كل أسبوع . من الافضل قراءة القران في كل ثلاثة أيا مرة ، وذلك أدعى لاسباب التفقه فيه والتدبر .

قوله صلى الله عليه وسلم « ولا يخلق على كثرة الرد » بمعنى أنه قائم بالحجج الدامغة لمزاعم المبطلين الى يوم الدين وأنه يتجدد مع تجدد الازمان محفوظ من أن تمتد اليه أيدي المحرفين كغيره من الكتب بل هو كما قال الله تعالى عنه « بل هو قران مجيد في لوح محفوظ » وهو مادة الحياتين الازلية والابدية اكتسب خصائصها من أمر الله تعالى لانه صفة قديمة قائمة بذاته وبذلك قامت الحقائق الكونية وثبتت على أسسها الثابتة بحكم اثبات نصوصه لها فهو في لحظات الزمن تتناول نصوصه دقات القلوب وخطرات النفوس وتأملات العقول يعطي كل ذرة من الوجود ما تحتاجه كما قيل فيه :

ما حوربت قط الا عاد من حرب
أعدى الاعادي اليها ملقى السلم
ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يد الجاني عن الحرم

قوله « ولا تنقضي عجائبه » وهذه العبارة كذلك قريبة المعنى ممن سبقتها ويجوز أن يكون المراد من هذه العجائب الكونية التي أخبر عنها القران الكريم أنها ستظهر في أوقاتها

المحددة لها فما من عجيبة كونية مرئية أو غير مرئية متقدمة على نزوله أو متأخرة علوية أو سفلية انسية أو جانية أزلية أو أبدية ظهرت أو لم تظهر بعد الا تحدث عنها القران بحديث مشوق لمعرفتها قال تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فالطبيعة وما تحتوي عليه من ثروات لا ينتهي اكتشافها أبدا ولو استخدم الانسان في ذلك كل ما يملك من وسائل علمية حتى اخر الزمـــان فانه يرى نفسه وكأنه لم يكتشف شيئا بعد أما بالنسبة لمـــا يتعلق بذات الانسان نفسه فانه لم يغفل منه ولا خلية من خلاياه وأن ما انتهى اليه علم العلماء الى ما في عجائب تكوينه هو بحاجة الى اكتشاف ما وراء ذلك مما لايقف بهم عند حد ولا يدخل تحت حصر وهـــل في استطاعة الانسان أن يكتشف سر الحياة كالروح المدبرة والعقل المفكر وادراك الحواس المدركة وكيفية طريقة ادراكها كالسمع والبصر وغيرهما وانبعاث سر الادراك من كل منها وهنا نقـف عند هذا المقدار والله الموفق .

قوله : وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعوه أن قالـــوا « انا سمعنا قرانا عجبا »

وذلك لان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تشمل الجـــن والانس وهم مكلفون بالايمان به كالانس وهذه الاية الكريمـــة جاءت في سورة الجن التي أفردها القران الكريم للحديث عنهـم حيث أخبر بأنهم بمجرد سماعهم لتلاوته « قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا علـــى الله شططا » الى اخر السورة فهي بما اشتملت عليه من انباء انما تدل على أن القران الكريم لا تستطيـــع النفـــوس الجبارة أن تواجهه ولا العتاة أن تتأخر عن الاذعـــان لـــه فبمجرد سماعهـم للقران من رسول الله صلى الله عليه وسلم سرى بتأثيره فـــي نفوسهم فسيطر على كل ما يملكون من قوى ذاتية ولم يسعهم الا « أن قالوا انا سمعنا قرانا عجبا » .. الخ

قوله « من علم علمه سبق » لانه يمتطي جواد السبق فـــي

ميدان المعرفة حتى ينتهي به الى رؤية الحق جل وعلا في جنات عدن كما قال تعالى « والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم » وكما قال تعالى « ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها » الى اخر الايات وما ذلك الا لان أهل العلم والمعرفة بالقران من أهل هذا السبق لما عملوا بما علموا قوله « ومن قال به صدق » لانه كلام الله تعالى الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وقال تعالى : « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصدق الحديث كتاب الله » . والامر واضح جلي من أن الذي يقول بالقران يصدق لانه يأتي بالخبر المطابق للواقع والواقع هو علم الله .

قوله : « ومن حكم به عدل » لان فيه جميع الاحكام الشرعية العادلة التي لاجور فيها ولا حيف وهي تشمل جميع شؤون الحياة بكافة أنواعها وما من شأن من شؤونها أو أمر من أمورها الا له في التشريع الاسلامي حكم خاص به يعطيه صفة العدل والقسط وهذا مما يطول شرحه فاطلبه من كتب الفقه تجد كل شيئا مفصلا تفصيلا وافيا .

قوله : « ومن عمل به أجر » وليس للعامل بالقران أجر الا الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام « يقال لقارىء القران اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقرؤها » ومعلوم أن هذه الدرجات لم تحصل الا بالقراءة والعمل معا وليس بمجرد القراءة دون العمل فان القران الكريم حجة للانسان أو حجة عليه فمن قرأه وعمل بما فيه نال الدرجات العلى ومن قرأه ولم يعمل به زجه لقفاه الى النار نسأل الله العفو والعافية .

قوله : « ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » فيا دعاة الحق والهدى شمروا عن سواعد الجد وامتطوا عزيمة الايمان وجدوا وثابروا واصبروا وصابروا وشدوا العزم وانفروا وتمسكوا

بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكونوا من الدعاة المخلصين والعلماء العاملين والاتقياء المخلصين والفقهاء الناصحين والوعاظ البارعين واجعلوا القران امامكم وسنة نبيه عليه دليلكم وعظوا الناس بأحوالكم قبل أن تعظوهم بأقوالكم وأدوا الى الله أمانتكم وقولوا الحق من ربكم وانصحوا لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وخاطبوا الناس بما تصل اليه عقولهم ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وكونوا كما قال الله عنكم « كنتم خير أمة اخرجت للناس » وكما قال تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين » .

وصلى الله وسلم وبارك على حبيبه محمد وعلى اله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بعون الله وتوفيقه تم الكتاب والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب ، ورحم الله امرءا أعاننا على نشر العلم والانتفاع به ابتغاء مرضات الله تعالى اللهم تقبل منا يا كريم

المؤلف

علي علي محمد

وكان الفراغ منه في ١٢ ربيع الاول سنة ١٤٠٠ هجرية

وكان الفراغ من نسخه وتنقيحه في ٢٤ شعبان سنة ١٤٠٠ هجري

مصـــادر الكتـــاب

- تفسير القران الكريم
- تفسير بن كثير
- صحيحي البخاري ومسلم
- فتح الباري
- البداية والنهاية
- الترغيب والترهيب
- شرح الجامع الصغير
- رياض الصالحين
- الاشاعة في اشراط الساعة
- العقائد الاسلامية
- تنوير القلوب
- الحاوي للفتاوي
- نور الابصار
- التاج الجامع للاصول
- تذكرة القرطبي
- مسند الامام احمد
- حقيقة الخبر عن المهدي المنتظر
- الشفاء
- اليواقيت والجواهر
- الفتوحات المكية
- خريدة العجائب
- المحلى
- بالاضافة الى مصادر اخرى

جدول تصويب الاخطاء

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٧	٢	وشراطها	أشراطها
١٠	١١	ذكرها	ذكراها
١٥	٢٨	نضر	نصر
٢٤	٢٢	ومظاهره	ومظاهر
٢٩	٢٣	انلم	ء أنكم
٣٠	١	بمصبح	بمصابيح
٣٥	٢١	وففيه	وفيه
٤٢	٣	الفئة	الفئام
٤٤	٢٠	قبل أن تهم	فبدأت بهم
٤٤	٢٨	بسؤوهم	يسوؤهم
٤٥	٨	قرأه	قراءة
٤٦	١١	والممهم	والمهم
٥٠	١٥	اسود	أسودا
٥٤	١١	مكة	بكة
٦١	٩	لسوا	ليسوا
٦١	٢٨	مواقعهم	مواقفهم
٦٢	٩	الوسطى	الوسط
٦٤	٩	أحد	أحدا
٦٤	٢٧	موثوق	موقوف
٦٤	٢٨	وحجو	وحجوا
٦٥	٣	فيتم	فتم
٦٨	٣	أنكم	ء أنكم
٦٩	٧	الكعبة	للكعبة
٧٦	٢٢	القرا	القران
٧٧	١٥	فيدرها	فيذرها
٧٧	٢٠	ترضضح	ترضخ
٧٨	٢٩	قوم ..	قوم لوط
٨١	٦	صررا	ضـررا
٨١	٩	وقيبل	وقبيل
٨٣	١١	يهرب	يهـم
٨٤	١٣	هذا	هذا الحديث
٨٤	١٩	وأن	وأمـا
٨٦	٨	فيها	منهـا
٨٦	٢٢	شفاء	شقاء
٨٧	١٠	وأدعاة	وأدعاه
٩٠	١٥	سبيه	شـبيه
٩١	٦	المقدس	بيت المقدس
٩٢	٤	المعاني	المباني
٩٢	١٠	بكاففة	بكافة
٩٢	٢٠	ففيقول	فيقول
٩٢	٢١	مشحر	شجر
٩٣	١٣	قعودة	تعودوه
٩٤	٦	واذا	واذ
٩٤	١٠	تقتفوا	ثقفوا
٩٥	٥	واستبدال أفكار	واستبدالها بأفكار
٩٥	٦	يغرق	يفرق
٩٧	١٥	ففيهما	نيهما
١٠٠	١١	روحاتيتهم	روحانيتهم
١٠١	٢١	من من	من
١٠٢	٤	أحزت	أحزن
١٠٣	١٣	انزل	نزل
١٠٤	٩	المتاني	المثاني
١٠٥	٢٣	يتدبوا	يتدبروا
١٠٦	٨	ثـم	تـم
١٠٦	٢٨	بالحكم	بالمحكم
١٠٦	٢٣	سلـ	سلم
١٠٧	٨	يغذر	يعذر
١٠٧	٨	وتفسيره	وتفسير
١٠٧	١٢	سأتيكها	سأنبيكها
١٠٧	١٥	حجة	أوجه
١٠٧	٢٠	فنلكم	قبلكم
١٠٩	١٤	يخيف	يحيف
١٠٩	١٦	اولئك	وأولئك
١٠٩	٢٣	فقد	فقد فقد
١١٢	٢	فالحق	بالحق
١١٣	١٤	يضي	يضيء
١١٦	١٥	وفي	أو في
١١٨	٩	قرأ	قرأه
١١٨	١٠	أيا	أيام
١٢٠	١٠	كتاب	كلام